سعد الدين الشاذلى

إعداد

حـــــازم عفيفي

مؤسسة دار الفرسان
للنشر والتوزيع
٥١ ش إبراهيم خليل – المطرية
ت : ٢٢٥١١١١٠ -٠١٢٩٨٧١٢٣٧

اسم الكتاب : سعد الدين الشاذلى
(أبطال حرب أكتوبر)
المؤلـــف : حـازم عـفـيـفـي
الناشـــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت- ٠١٠٤٤٧٠٦٤٥
رقم الإيداع : ١١٢٧٥/ ٢٠١٦
طبعة ثانية : ٢٠١٦

فهرسة أثناء النشر

حـازم عـفـيـفـي
سعد الدين الشاذلى / حـازم عـفـيـفـي ٠ـ ط١ ٠ـ القاهرة :
مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦ م .
٨٠ص ؛ ٢٤ سم ٠ـ (أبطال حرب أكتوبر)
تدمك : ٧-٦٢-٦١٦٩-٩٧٧
١ ـ الرجال ـ تراجم
أ. العنوان ٧٠و٩٢٠

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

﴿ الأحزاب : ٢٣ ﴾

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن ماضي الأمم والمجتمعات لا يحسب بسنوات بقائها أو أعمار شعوبها ، وإنما يُحسب من رصيد حضارتها ، وميراثها من أفذاذ الرجال الذين يصنعون بأعمالهم الجليلة ماضيها ، ويرفعون مشاعل نهضتها فتضئ الطريق لحاضرها ومستقبلها ، فمن ليس له ماضي لن يكون له حاضر أو مستقبل .. فتاريخ أبطالنا الذين صنعوا للأمة أمجادها أحقّ أن يُدرس ، وأجدر أن يُعرف فنستلهم ما فيه من عِبَر ، ونتبين ما فيه من أحداث .. فمن حقِّ هؤلاء الأبطال العظماء علينا أن نذكر جليل أعمالهم ونتلمس بديع مواهبهم وفضائل أعمالهم ..

وحقٌّ وطننا علينا أن نقتبس من ضيائهم ونستلهم عِبَرَ تاريخهم .. لاسيما في هذا العصر الذي يمور بأمواجٍ متلاطمة من الأحداث متسارعة الإيقاع ، فالعالم من حولنا يسير خطوات واسعة وإن لم نلاحقه ونتابع خطوه وطأتنا أقدامه .. فسيرة العظماء للأمم بمثابة القلب النابض ، فإن نُسِيَتْ أعمالهم وطُمِسَتْ سيرتهم صار تاريخها كالقليب[1] الناضب .. واليوم نحن في حاجة ماسة كي نكشف اللثام عن ذكرى مجدٍ تليد أُلقيتْ أستارٌ من النسيان على عظماء الأمة الذين صنعوا حضارتها ، فتاه خطاهم وانطمستْ سيرتهم ففقدنا قدوتهم .. في وقتٍ تحترم كل الأمم تاريخها وترفع قدر رجالها ، فكيف بنا ونحن بلد الحضارةوأرباب المجد وعناصر الرفعة ؟!

---

[1] القليب : البئر الجاف

ونحن هنا في معرض حديثنا عن أبطال أكتوبر ، تلك الحرب المجيدة التي لو اختصرنا تاريخنا في أحداثها لما أعجزنا حصره ولما أغفلناه ، ولا أبالغ إن قلتُ أنه عملٌ يعدل في عظمته قيمة الزمان .. فحرب أكتوبر نقطةٌ مضيئةٌ في ذاكرة مصر والأمة العربية .. وستظل محفورة بحروفٍ من نورٍ في ذاكرة التاريخ فهي بستانٌ زاهر ، وروضٌ ناضر ، وسماءٌ رحيبة تتلألأ بالشموس المضيئة ، والأقمار المنيرة ، والنجوم الزاهرة .. ولا عجب فإنه الجندي المصري خيرأجناد الأرض كما أخبر الرسول الكريم ، ومثار إعجاب قادة العالم الذين تزدحم كتب التاريخ بأعمالهم .. يقفون مشدوهين أمام بطولاتهم .. فهذا "نابليون بونابرت" يقول : " لو كان عندي نصف جيش مصر لغزوت العالم " ، وقال البارون "بول كونت" بعد أن أذهلته معارك الجيش المصري في سوريا عام ١٨٣٢م : " المصريون هم خير ما رأيتُ من الجنود " .. ثم جاءت حرب أكتوبر ٧٣ لتصل به إلى ذروة المجد والارتقاء ، وتشهد على بطولات أبناء مصر الكرام ، فقالت "التايمز" : " لقد برهن المصريون على مقدرة جنودهم على القتال ، وقدرة ضباطهم على القيادة ، واستخدام أحدث أنواع السلاح .. "

إنهم أبطالُ مصر خيرُ شاهدٍ على عظمتها ، والمثلُ الحيُّ على رقيِّ حضارتها ، والنبراس الذي يضئ لنا حاضرنا ومستقبلنا ..

المؤلف

من هو سعد الدين الشاذلي ؟

الفريق سعد الدين الشاذلي١(أبريل ١٠ - ١٩٢٢ فبراير٢٠١١)، هو رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين ١٦ مـــايو ١٩٧١وحتى ١٣ ديسمبر .١٩٧٣ ولد بقرية شبراتنا مركز بســيون فـــي محافظة الغربية في دلتا النيل .يوصف بأنه الرأس المدبر للهجوم المصـــري الناجح على خط الدفاع الإسرائيلي بارليف في حرب أكتوبر عام.١٩٧٣

أهم المناصب التي تقلدها

- مؤسس وقائد أول فرقة قوات مظلية في مصر (١٩٥٩١٩٥٤-)
- قائد أول قوات عربية(قائد كتيبة مصرية) في الكونغو كجزء من قوات الأمم المتحدة١٩٦١-١٩٦٠()
- ملحق عسكري في لندن١٩٦٣-١٩٦١( )
- قائد لواء المشاة (شارك في حرب اليمن)١٩٦٦-١٩٦٥) (
- قائد القوات الخاصة (المظلات والصاعقة١٩٦٩-١٩٦٧) ()
- قائد لمنطقة البحر الأحمر العسكرية١٩٧١-١٩٧٠( )
- رئيس هيئة أركان القوات المسلحة المصرية١٩٧٣-١٩٧١( )
- سفير مصر في بريطانيا١٩٧٥-١٩٧٤( )
- سفير مصر في البرتغال١٩٧٨-١٩٧٥( )

حياة سعد الدين الشاذلى العسكرية

الشاذلي قائدا للقوات العربية في الكونغو

التحق الشاذلي بالكلية الحربية في فبراير ١٩٣٩ وكان عمره وقتها ١٧ سنة، وتخرج برتبة ملازم ، ثم انتدب للخدمة في الحرس الملكي من ١٩٤٣إلى ١٩٤٩ وقد شارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ضمن سرية ملكية مرسلة من قبل القصر. إنضم إلى الضباط الأحرار عام.١٩٥١ أسس أول قوات مظلية في مصر عام .١٩٥٤

- شارك في العدوان الثلاثي عام .١٩٥٦
- شارك في حرب اليمن كقائد للواء مشاة بين عامي ١٩٦٥ ـــ ١٩٦٦.
- شكل مجموعة من القوات الخاصة عرفت فيما بعد بمجموعة الشاذلي عام.١٩٦٧

حظى بشهرته لأول مره خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١ عندما كانت القوات المصرية والبريطانية تواجه القوات الألمانية في الصحراء الغربية، وعندما صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية بالانسحاب. بقى الملازم الشاذلي ليدمر المعدات الثقيلة المتبقية في وجه القوات الألمانية المتقدمة .

أثبت الشاذلي نفسه مرة أخرى في نكسة ١٩٦٧ عندما كان برتبة لواء ويقود وحدة من القوات المصرية الخاصة مجموع أفرادها حوالي ١٥٠٠ فرد والمعروفة بمجموعة الشاذلي في مهمة لحراسة وسط سيناء ووسط أسوأ هزيمة شهدها الجيش المصري في العصر الحديث وانقطاع الاتصالات مع القيادة المصرية وكنتيجه لفقدان الاتصال بين الشاذلي وبين قيادة الجيش في سيناء.

فقد اتخذ الشاذلي قرارا جريئا فعبر بقواته الحدود الدوليه قبل غروب يوم ٥ يونيو وتمركز بقواته داخل الأراضي الفلسطينيه المحتله بحوالي خمسة كيلومترات وبقي هناك يومين إلى أن تم الاتصال بالقياده العامه المصرية التي أصدرت إليه الأوامر بالانسحاب فورا.

فاستجاب لتلك الأوامر وبدأ انسحابه ليلا وقبل غروب يوم ٨ يونيو في ظروف غاية في الصعوبة، باعتباره كان يسير في أرض يسيطر العدو تمامًا عليها.

ومن دون أي دعم جوي، وبالحدود الدنيا من المؤن، واستطاع بحرفية نادرة أن يقطع أراضي سيناء كاملة من الشرق إلى الشط الغربي لقناة السويس(حوالي ٢٠٠ كم).

وقد نجح في العوده بقواته ومعداته إلى الجيش المصري سالما، وتفادى النيران الإسرائيلية، وتكبد خسائر بنسبة ١٠% إلى ٢٠%. فكان آخر قائد مصري ينسحب بقواته من سيناء.

بعد هذه الحادثه اكتسب سمعة كبيرة في صفوف الجيش المصري، فتم تعيينه قائدًا للقوات الخاصة والصاعقة والمظلات

وقد كانت أول وآخر مرة في التاريخ المصري يتم فيها ضم قــوات المظلات وقوات الصاعقة إلى قوة موحدة هي القوات الخاصة.

تعيين سعد الدين الشاذلى

رئيساً لأركان القوات المسلحة

في ١٦ مايو ١٩٧١ ، وبعد يوم واحد من إطاحة الرئيس السادات بأقطاب النظام الناصري، فيما سماه بثورة التصحيح عين الشاذلي رئيسًا للأركان بالقوات المسلحة المصرية، باعتبار أنه لم يكن يدين بالولاء إلا لشرف الجندية، فلم يكن محسوبًا على أي من المتصارعين على الساحة السياسية المصرية آنذاك.

يقول الفريق الشاذلي: كان هذا نتيجة ثقة الرئيس السادات به وبإمكانياته، ولأنه لم يكن الأقدم والمؤهل من الناحية الشكلية لقيادة هذا المنصب، ولكن ثقته في قدراته جعلته يستدعيه، ويتخطى حوالي أربعين لواء من اللواءات الأقدم منه في هذا المنصب.

دخل الفريق الشاذلي في خلافات مع الفريق محمد أحمد صادق وزير الحربية آنذاك حول خطة العمليات الخاصة بتحرير سيناء، حيث كان الفريق صادق يرى أن الجيش المصري يتعين عليه ألا يقوم بأي عملية هجومية إلا إذا وصل إلى مرحلة تفوق على العدو في المعدات والكفاءة القتالية لجنوده، عندها فقط يمكنه القيام بعملية كاسحة يحرر بها سيناء كلها. وجد الفريق الشاذلي أن هذا الكلام لا يتماشى مع الإمكانيات الفعلية للجيش، ولذلك طالب أن يقوم بعملية هجومية في حدود إمكانياته، تقضي باسترداد من ١٠ إلى ١٢ كم في عمق سيناء.

بنى الفريق الشاذلي رأيه ذلك على أنه من المهم أن تفصل الإستراتيجية الحربية على إمكانياتك وطبقا لإمكانيات العدو. وسأل الشاذلي الفريق صادق :هل لديك القوات التي تستطيع أن تنفذ بها خطتك ؟ فقال له: لا. فقال له الشاذلي: على أي أساس إذن نضع خطة وليست لدينا الإمكانيات اللازمة لتنفيذها؟. أقال الرئيس السادات الفريق صادق وعين المشير أحمد إسماعيل علي وزيراً للحربية والذي بينه وبين الفريق الشاذلي خلافات قديمة.

خلافه مع أحمد إسماعيل

يقول الفريق الشاذلي : لم أكن قط على علاقة طيبة مع المشير أحمد إسماعيل علي .لقد كنا شخصيتين مختلفتين تماما لا يمكن لهما ان تتفقا. وقد بدأ أول خلاف بيننا عندما كنت أقود الكتيبة العربية التي كانت من ضمن قوات الأمم المتحدة في الكونغو عام١٩٦٠ م . كان العميد أحمد إسماعيل قد ارسلته مصر على رأس بعثة عسكرية لدراسة ما يمكن لمصر ان تقدمه للنهوض بالجيش الكونوجولي.

وقبل وصول البعثة بعدة أيام سقطت حكومة لومومبا التي كانت تؤيدها مصر بعد نجاح انقلاب عسكري، وقد كانت ميول الحكومة الجديدة تتعارض تماما مع الخط الذي كانت تنتجه مصر، وهكذا وجدت البعثة نفسها دون أي عمل منذ اليوم الأول لحضورها، وبدلا من أن تعود البعثة الى مصر أخذ أحمد إسماعيل يخلق لنفسه مبرراً للبقاء في ليوبولدقيل على أساس أن يقوم بإعداد تقرير عن الموقف..

وتحت ستار هذا العمل بقي مع اللجنة ما يزيد على الشهرين. وفي تلك الفترة حاول ان يفرض سلطته علي بإعتبار أنه ضابط برتبة عميد بينما كنت أن وقتئذ برتبة عقيد، وبالتالي تصور أن من حقه أن يصدر التعليمات والتوجيهات.ورفضت هذا المنطق رفضاً باتاً وقلت له إنني لا أعترف له بأية سلطة عليّ أو على قواتي. وقد تبادلنا الكلمات الخشنة حتى كدنا نشتبك بالأيدي. وبعد أن علمت القاهرة بذلك استدعت اللجنة وانتهى الصراع ولكن آثاره بقيت في أعماق كل منا.

وبتعيين اللواءأحمد إسماعيل ر.أ.ح.ق.م.م. اختلف الوضع كثيراً إذ لم يعد ممكناً أن أتحاشى لقاءه وألا يكون هناك أى اتصال مباشر بينى وبينه . إن وظيفته هذه تجعل سلطاته تمتد لتغطى القوات المسلحة كلها لذلك قررت أن استقيل وبمجرد سماعى بنبأ تعيين أحمد إسماعيل رئيساً للأركان تركت قيادتى فى أنشاص وتوجهت إلى منزلى ، مكثت فى منزلى ثلاثة أيام بذلت فيها جهود كبيرة لإثنائى عن الاستقالة ولكنى تمسكت به ،وفى اليوم الثالث حضر إلى منزلى أشرف مروان زوج ابنة الرئيس وأخبرنى أن الرئيس عبد الناصر قد بعثه لكى يبلغنى الرسالة التالية : "إن الرئيس عبد الناصر يعتبر استقالتك كأنها نقد موجه إليه شخصياً حيث أنه هو الذى عين أحمد إسماعيل وزيراً للحربية .

التعاون المشوب بالحذر :

فى الساعة ٢٠٠٠ يوم ١٩ من مايو ١٩٧١ اجتمع وفد عسكرى سوفيتى مع وفد عسكرى مصرى لبحث التسهيلات البحرية التى يطلبها

الجانب السوفيتى فى الموانئ المصرية وكان الوفد السوفيتى برئاسة الجنرال بفيموف وعضوية الأدميرال فاسيلى والجنرال اوكينيف وكان الوفد المصرى برئاسة الفريق صادق وزير الحربية وعضوية اللواء الشاذلى والعميد أمير الناظر الأمين العام لوزارة الحربية وكان الجانب السوفيتى يطلب زيادة فى التسهيلات البحرية التى كان يمارسها فعلاً وكانت هذه الطلبات الجديدة تشمل ما يلى :

مرسى مطروح :

- تعميق الميناء ثمانية أمتار أخرى .
- بناء أو تأجير أماكن لإيواء الأفراد بحيث تكون قريبة من الميناء ، وبحيث تكفى لإيواء ٢٠٠٠ رجل و١٦٠ عائلة .
- بناء مطار على مسافة ٣٥ – ٤٠ كيلومتر غرب الميناء .
- رفع كفاءة المطار الحالى فى مرسى مطروح بحيث يصبح قاراً على استيعاب لواء جوى سوف يتم إرساله من الاتحاد السوفيتى لتأمين الميناء.
- بناء محطة رادار على مسافة ١٠٠ كيلومتر شرق مرسى مطروح وأخرى على مسافة مماثلة غربها .

الاسكندرية :

طلب الجانب السوفيتى تدبير مبنى واحد كبير أومجموعة من المبانى المتجاورة حتى يمكنهم أن يجمعوا فيها عائلات رجال بحريتهم

المتناثرة داخل مدينة الاسكندرية وكان المطلوب هو تدبير مكان مجمع يتسع لـ ٢٠٠ عائلة وقد اقترحوا الحصول على فندق سان ستيفانو .أجاب الفريق صادق بأن هذه الطلبات لها جانب سياسى وأنه لا يستطيع البت فى هذه الأمور قبل بحث الموضوع مع السيد الرئيس وسيكون جاهزاً للرد على هذه التساؤلات بعد حوالى اسبوع .

وبعد انتهاء اللقاء طلب الوزير أن تشكل لجنة برئاسة سعد الدين الشاذلى لبحث هذه المطالب وكان بين أعضاء هذه اللجنة اللواء بغدادى قائد القوات الجوية واللواء محمود فهمى قائد القوات البحرية ،وبعد عدة لقاءات تقدموا بالاقتراحات التالية :

- الموافقة على اعطاء البحرية السوفيتية تسهيلات فى ميناء مرسى مطروح تشابه التسهيلات الممنوحة لها فى كل من الاسكندرية وبور سعيد.
- عدم تخصيص أية منطقة محددة لخدمة الوحدات السوفيتيةحتى لا يأخذ شكل قاعدة سوفيتية .
- الموافقة على تمركز لواء جوى سوفيتى فى مرسى مطروح شريطة ألا تقتصر مهمته على الدفاع عن القاعدة البحرية ، بل تمتد مسئوليته لكى تشمل الدفاع عن الأراضى المصرية ما بين غرب الاسكندرية وحتى الحدود المصرية الليبية وأن يكون اللواء الجوى السوفيتى تحت القيادة المصرية.

- يكون تمركز اللواء الجوى السوفيتى فى مرســـى مطـــروح بصـــفة مؤقتة وإلى أن تصبح القوات الجوية المصريةقادرة علـــى تحمـــل مسئولية الدفاع الجوى عن المنطقـــة غـــرب الاســـكندرية وتقـــوم بتخصيص لواء جوى مصرى لكى يعفى اللواء الجوى السوفيتى من هذه المهمة .

المشاريع الاستراتيجية

أداء يمين الولاء للجامعة العربية فى يوم ٣٠ يوليو ١٩٧١ وفى اجتماع عادى لمجلس الجامعة العربيةفى القاهرة تمت تأدية اليمين القانونية بصفة سعد الدين الشاذلى الأمين العام المساعد للجامعة العربية للشئون العسكرية وبموجب هذا المنصب فقد أصبح الشاذلى رئيساً للجنة الاستشارية العسكرية للجامعة العربية والتى تتكون من رؤساء أركان حرب القوات المسلحة فى جميع الدول العربية وقد بدأ العمل فى هذا المنصب بأن قام بدراسة دقيقة لمعاهدة الدفاع المشترك ولجميع المحاضر والقرارات التى اتخذت منذ عقد هذه المعاهدة وقد خرج الشاذلى من هذه الدراسة بأربع نقاط رئيسية .

كانت النقطة الأولى هى التحمس الواضح والخطب الرنانة التى كانت تلقىخلال هذه الاجتماعات من جميع الأعضاء ، ثم القرارات القوية التى يتخذها المجلس حتى ليتصور المرء ورجل الشارع العربى أن كل شئ يسير علىأحسن ما يكون .

وكانت النقطة الثانية هى أن الدول العربية – سواء كانت من دول المواجهة أم من غير دول المواجهة – كانت تنظر إلى الدعم العربى على أنه معونة مالية فحسب فقد كان كل ما تطلبه دول المواجهة هى الدعم المالى وكانت الدول العربية الأخرى تعتقد أنها بتقديم الدعم المالى لدول المواجهة قد أدت دورها النضالى نحو القضية العربية .

وكانت النقطة الثالثة هى عدم فاعلية قرارات مجلس الدفاع المشترك فعلى الرغم من أن قرارات مجلس الدفاع المشترك طبقاً لمعاهدة الدفاع المشترك تعتبر ملزمة لجميع الأعضاء إذا اتخذ القرار بأغلبية ثلثى الأصوات إلا أن هذه القرارات ولا سيما مايتعلق منها بالدعم المالى كانت تبقى معطلة وكان يتوقف تنفيذها أو تنفيذ جزء منها على مدى النشاط والزيارات التى يقوم بها المسئولون فى دول المواجهة إلى الدول العربية الأخرى .

أما النقطة الرابعة والأخيرة فهى أن مؤتمرات القمة العربية (الملوك والرؤساء) هى المؤتمرات الوحيدة الذين يمسكون بزمام السلطة فى البلاد العربية .

قومية المعركة تتطلب عدالة توزيع الأعباء :

قمت بإجراء دراسة تشمل الدخل القومى والانفاق العسكرى فى كل من الدول العربية واسرائيل فكانت الأرقام تثير الدهشة حقاً . كان أجمالى الدخل القومى للدول العربية ذات الـ ١١٠ ملايين نسمة ،وهو ٢٦٠٠٠ مليون دولار بينما كان الدخل القومى لإسرائيل ٢.٨٢٢٠٠٠ نسمة هو ٣٦٧٢ مليون دولار ، وهذا أن متوسط دخل الفرد العربى فى العام هو ٢٣٦ دولار بينما متوسط دخل الفرد الإسرائيلى هو ١٣٠٠ دولار فى العام فإذا نظرنا إلى كيفية توزيع الثروة فى المنطقة العربيةنجد أعلى متوسط لدخل الفرد فى العالم وفى دول عربية أخرى نجد أقل مستويات الدخل فى العالم .

خطة حرب أكتوبر

وعنصر المفاجأة

أدرك السادات أنه لاخلاص من الأزمة عن طريق الأمل فى حل سلمى ، يمكن أن يأتى له سهلا – كما كان يأمل – بمبادرات من الشرق أو من الغرب بحجة الحفاظ على السلام فى الشرق الأوسط . أو عن طريق المفاوضات المباشرة أو غير المباشرة مع العدو الإسرائيلى المتعنت . أو عن طريق المحاولات العبثية بحثا عن حل عادل مع عدو منتصر ومغرور ، تلعب فيها الإدارة الأمريكية أو الإتحاد السوفييتى دورا يتم فرضه على أطراف النزاع العربى الإسرائيلى .

وقد أدرك عبد الناصر قبله بعد الهزيمة الكارثية للجيشين المصرى والسورى فى يونيو ١٩٦٧ بأن الحل يتلخص فى عدد من الكلمات تقول : "أن مأأخذ بالقوة لايسترد بغير القوة" ، فقد كانت حتمية الحرب قرارا مصيريا وشعبيا لارجعة فيه ، مفروضا على أى رئيس لمصر ولا خيار له فيه ... وقد فرض هذا القرار نفسه وبقسوة على الرئيس السادات ، رغم محاولاته المتكررة تجنب مسئولية اتخاذ هذا القرار، وخاصة مع عدم استقرار السلطة له ، ومع ظروف صراعه على السلطة مع من ساهم بمراكز القوى .

وحتى بعد أن تم له تصفية تلك المراكز ، وانفرد انفرادا كاملا مطلقا بالسلطة دون معارض له أو منازع ، تردد كثيرا فى تحمل مسئولية اتخاذ

قرار الحرب ، رغم مرارة طول فترة "اللا حرب واللا سلم " ، التى عانت منها مصر كثيرا مع بدء وقف إطلاق النار بمبادرة روجرز الثانية ، اعتبارا من الساعة الواحدة من صباح السبت ٨ أغسطس ١٩٧٠ ، قبل وفاة عبد الناصر بحوالى خمسين يوما فى مساء يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠ . ثم أخذ وقف إطلاق النار يتجدد تباعا بعد ذلك ، حتى تم اتخاذ قرار الحرب فى أكتوبر١٩٧٣ . - (ملاحظة : مراكز القوى كانت مجموعة على رأسها على صبرى ، وكان القادة السوفييت يرون أنها أقرب إلى التعاون معهم من مجموعة السادات التى يرون أنها تميل إلى الولايات المتحدة والغرب، ولذلك فقد شعروا بأن عليهم أن يترووا فى إجابة طلبات مصر من الأسلحة ، حتى يتحققوا من ولاء السادات للعلاقات المصرية السوفييتية، وحين نجح السادات فى التخلص من مراكز القوى التى حاولت الإنقلاب على نظامه فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، أطلق على نجاحه هذا إسم "ثورة التصحيح") .

ويقول المؤرخ العسكرى جمال حماد فى كتابه " المعارك الحربية على الجبهة المصرية" (دار الشروق – الطبعة الأولى ٢٠٠٢) الصفحة ٢٧ ، ٢٨ : ومنذ شهر يوليو ١٩٦٧ ظلت خطط العمليات العسكرية تتبدل وتتغير عدة مرات ، سواء فى أهدافها المرحلية أو فى أهدافها النهائية ، حتى استقر الرأى فى النهاية على تبنى "الخطة جرانيت ٢ المعدلة" ، والتى تم بموجبها تنظيم التعاون بين القيادتين المصرية والسورية يوم ٧ يونيو ٧٣ بمقر القيادة العامة المصرية بمدينة نصر .. وهى الخطة التى تم تغيير إسمها الكودى فى شهر سبتمبر ٧٣ إلى الخطة بدر.

ويقول المؤرخ عبد العظيم رمضان فى المقابل (كتابه "حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ " بالصفحة ٤٥) : ".. ومن الأمور ذات المغزى ، والتى تشير إلى تدهور الثقة فى السوفييت حالة القيام بهجوم مصرى ، هو أن القيادة المصرية كانت تخفى عن السوفييت خطة "المآذن العالية" المحدودة (خطة العبور) ، ولم تظهر لهم سوى خطة "العملية ٤١" التى تستهدف الوصول إلى المضايق ! ، والتى قامت بتحضيرها بالتعاون مع المستشارين السوفييت ، " لاطلاعهم على مايجب أن يكون لدينا من سلاح وقوات" – حسب تعبير الفريق الشاذلى .

ويقول جمال حماد (نفس المصدر السابق) : مما يدعو إلى الإلتفات أن كل من تولى منصب القائد العام (وزير الحربية) كان قد تولى منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة قبل إسناد منصب القائد العام له . الفريق أول محمد فوزى تولى منصب رئيس الأركان قبل هزيمة يونيو ٦٧ ، ثم تولى منصب القائد العام للقوات المسلحة من ١١ يونيو حتى تم إقالته فى ١٣ مايو ٧١ مع ماسماه السادات فى ١٥ مايو ٧١ بثورة التصحيح ، التى كانت انقلابا من السادات على مراكز القوى التى نازعته السلطة واتخاذ القرار .

والفريق محمد أحمد صادق تولى منصب رئيس الأركان اعتبارا من ١٠ سبتمبر ٦٩ ، ثم رقاه السادات إلى رتبة فريق أول عندما عهد إليه بمنصب القائد العام فى ١٣ مايو ٧١ لما قدمه من عون ومساندة له فى حركة ١٥ مايو ٧١ ، واستمر محمد صادق فى منصبه حوالى عام ونصف العام حتى تمت للسادات تنحيته فى ٢٦ أكتوبر ٧٢ .

أما المشير أحمد إسماعيل فقد تولى منصب رئيس الأركان برتبة فريق على أثر استشهاد الفريق عبد المنعم رياض فى ١٠ مارس ٦٩ ، ولم يبق فى منصبه سوى ستة أشهر فقط ، فقد أمر عبد الناصر بتنحيته عن منصبه فى ١٠ سبتمبر ٦٩ على أثر وقوع الإغارة البرمائية الإسرائيلية على الزعفرانة فى اليوم السابق ، ولكن الرئيس السادات أسند إليه منصب القائد العام فى يوم ٢٦ أكتوبر ٧٢ – (لولائه المطلق له ، رغم علمه بمرضه بالسرطان ، ورغم نُصح الأطباء له بأن حالته الصحية لاتسمح له باتخاذ القرارات) – ، وكان ذلك على أثر تنحية السادات للفريق أول محمد صادق ، أى قبل نشوب حرب أكتوبر بعام واحد فقط .

(ملاحظة : تعين أمين هويدى وزيرا للحربية بجانب منصبه كرئيس للمخابرات العامة فى ١٩٦٧/٧/٢١ ، حيث كان محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة فقط ، إلى أن جمع محمد فوزى بين منصبه كقائد عام ومنصب وزير الحربية فى ١٩٦٨/١/٢٤ ، والجمع بين منصبى القائد العام ووزير الحربية كان تعديلا أجراه لأول مرة عبد الناصر واستمر بعد ذلك حتى الآن) .

واستمر جمال حماد (ص ٢٨) قائلا : هذا وقد تولى منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة خلال هذه الفترة أربعة من القادة ، ذكرنا منهم اثنين وهما ، أحمد إسماعيل ومحمد صادق . وهناك إثنان آخران توليا هذا المنصب هما : الفريق عبد المنعم رياض تولى فى ١٢ يونيو ٦٧ حتى استشهاده فى ٩ مارس ٦٩ خلال حرب الإستنزاف ، والفريق سعد الشاذلى وقد تولى منصب رئيس الأركان يوم ١٦ مايو ٧١ على أثر أحداث حركة

١٥ مايو التى سماها السادات بثورة التصحيح ، أى قبل نشوب حرب أكتوبر بحوالى عامين ونصف .... ثم يقول جمال حماد : هؤلاء القادة الخمسة (محمد فوزى ، عبد المنعم رياض ، أحمد إسماعيل ، محمد صادق ، سعد الشاذلى) ، كانوا هم بلا شك المسئولين طوال الفترة بين الحربين (يونيو ٦٧ وأكتوبر ٧٣) وفقا لترتيب توليهم لمناصبهم عن وضع الأسس والتوجيهات لهيئة العمليات الحربية لإعداد خطط الحرب والعمليات العسكرية بشتى أشكالها ومراحلها مع مراعاة مدى إمكانات وقدرات القوات المسلحة على التنفيذ . وقد تمت لهم بالطبع مناقشة هذه الخطط على المستوى العسكرى مع هيئة العمليات ومديرى الأفرع والأسلحة وقادة الجيوش الميدانية ، وعلى المستوى السياسى مع رئيسى الجمهورية الراحلين عبد الناصر والسادات .

وحتى ٦ يونيو ٧٢ ، وهو تاريخ اجتماع مصغر للمجلس الأعلى للقوات المسلحة باستراحة الرئيس السادات بالقناطر الخيرية ، لم يكن قد تم الإتفاق على خطة واضحة لإتخاذ قرار الحرب .

ويقول جمال حماد : أن الفريق فوزى أوضح عقب مرور ثلاثة أعوام على هزيمة يونيو ٦٧ أن القوات المسلحة فى إمكانها بدء معركة تحرير سيناء والوصول إلى الحدود الدولية فى ١٢ يوم ، بمجرد صدور الأمر إليها بذلك . واتضح بعد ذلك أنه لاوجود لخطة هجومية لهذه المعركة ، وذلك بشهادتى الفريق الشاذلى والرئيس السادات فى مذكراتهما .

ونشر بعد ذلك الفريق أول محمد صادق مقالا فى نوفمبر ٨٤ ، ذكر فيه أن التفكير فى حرب شاملة لتحرير كل الأراضى المحتلة أمر لم يكن مطروحا عندما كان قائدا عاما للقوات المسلحة ، لأن ميزان القوى كان وقتئذ لصالح إسرائيل . وقدم محمد صادق خطة تتلخص فى عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف شرق القناة وتحريره ، ثم إسقاط وحدات مظلات وصاعقة وقوة اقتحام جوى فوق المضايق للتمسك بها لحين وصول القوات المدرعة والمشاة الميكانيكية إلى المضايق الثلاثة لتعزيز تحريرها (المصدر : جمال حماد ص ٢٩-٣٥) .

وبنفس هذا الإجتماع المصغر لمجلس القوات المسلحة الأعلى ، فى ٦ يونيو ٧٢ المذكور قبل ، يقول جمال حماد : أن السادات كان يؤيد رأى الفريق محمد صادق فى عدم بدء المعركة إلا بعد أن تتوافر لمصر قوة ردع جوى قادرة على ضرب عمق العدو ، ولكنه تساءل فى نفس الوقت عما يكون العمل إذا اضطرنا الموقف السياسى إلى بدء المعركة قبل الإنتهاء من بناء قوة الردع ؟ . فأوضح الفريق الشاذلى بنفس الإجتماع : أنه يمكن التغلب على هذه المشكلة فى حالة تنفيذ الفكرة التى أبداها من قبل ، وهى التخطيط لمعركة هجومية محدودة فى ظل تفوق جوى معاد . وذكر الشاذلى "أنه يمكن الإعتماد فى تحدينا للتفوق الجوى الإسرائيلى خلال تلك المعركة على الصواريخ المضادة للطائرات (سام) " .

وقد أكد الفريق الشاذلى أن اللواء المسيرى الذى حضر هذا الإجتماع مندوبا عن القوات الجوية قد أيد رأيه تماما . (المصدر : جمال حماد ص ٣٦) . وكان يشير الشاذلى فى هذا الإجتماع المصغر إلى الخطة

التى كان يفكر بها دائما فى ظل تفوق العدو الجوى ، وهى نفس الخطة التى تم وضع مكوناتها وتفاصيلها وتسميتها فيما بعد بخطة "المآذن العالية".

وما يعنينا فى أمر ما سبق ، أنه حتى ٦ يونيو ٧٢ ، كانت خطة الحرب أمرا لم يتم الإتفاق عليه بعد ، وعلى ذلك فإن تكرار إطلاق السادات على عام ٧١ صفة عام الحسم ، ثم إطلاق نفس الصفة على عام ٧٢ ، لا يمكن أن يعطى لهذا الحسم تفسيرا بأنه سوف يكون حسما بالحرب والقتال ، هذا رغم ما صرح به السادات بالنص قائلا : "لن أسمح أن تمر سنة ١٩٧١ دون أن تُحسم هذه المعركة " ، ورغم قوله أيضا : "إن هذه السنة سنة ١٩٧١ سوف تكون حاسمة فى أزمة الشرق الأوسط .. وأن هذه السنة يجب أن تشهد – بعون الله – تحركنا العملى نحو إزالة آثار العدوان " – (المصدر : أنيس منصور ص ١٦١ من كتابه "من أوراق السادات" الطبعة الرابعة ٢٠١٠ دار المعارف) ..

ومن المعروف أن عام ٧١ شهد صراعا حادا مع السادات على السلطة ممن سماهم بمراكز القوى ، التى كان يتزعمها على صبرى كما أوضحنا من قبل ، ولم تكن سلطة اتخاذ القرار فى أى أمر فى شئون مصر داخليا أو خارجيا ، قد استقرت خالصة تماما فى يد السادات فى ذلك الوقت ، وفى شأن ذلك قال السادات (المصدر السابق /جمال حماد) : " .. وقلت على مسمع من السوفييت والشعب والعالم : أن التحقيقات أثبتت أن على صبرى كان ينتظر فرقعة .. فرقعة داخل مصر .. فإذا حدثت الفرقعة وآلت لهم السلطة فلا داعى للحرب .. فلا أحد يحارب ولا أحد من شعبنا يصاب

بسوء .. ولكنى أقول وأكرر أن سنة ١٩٧١ حاسمة ، وإذا اقتضت المعركة أن يكون هناك مليون من الضحايا فنحن على استعداد لذلك .. " !! . وعلى أى حال فقد كانت لحالة السادات النفسية فى تلك الفترة المضطربة آثارا جانبية بالغة الحساسية ، أصبح معها السادات فاقدا لصفة الصراحة مع الشعب أو مع معاونيه أو مع العالم الخارجى ، بهدف تمرير بعض سياساته ، ولازمته تلك الحالة حتى إغتياله فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ . ومن المؤكد أن تلك الحالة قد أفادت – دون قصد منه – فى خداع إسرائيل والقوتين الأعظم ، عندما فاجأتهم مصر بالحرب فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ويقول المؤرخ الدكتور عبد العظيم رمضان فى كتابه "حرب أكتوبر– فى محكمة التاريخ " بالصفحة ٤٢ : فى الحق أن الأوضاع الداخلية فى مصر فى ذلك الحين كانت تضغط ضغطا شديدا فى هذا الإتجاه (أى فى اتجاه الحسم بالحرب) .

ففى خلال عام ١٩٧١ كان الرئيس السادات يرفع شعار "الحسم" ويكرره فى كل مناسبة ! ، وذلك لكى يحمل المجتمع الدولى على التحرك من أجل فرض الحل السياسى العادل الشامل " .

وهذا يعنى أن السادات كان يأمل كثيرا فى الحل السلمى عن طريق ماكان يعتبره ضغطا على الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى . وكان رفعه لشعار الحسم هو رد فعل لضغوط الداخل ، ويمثل عنده أملا فى المجتمع الدولى بأن يأخذ كلامه على محمل الجد ، فيسارع المجتمع الدولى بالتحرك نحو فرض الحل السلمى حفاظا على الإستقرار والسلام بمنطقة الشرق

الأوسط ، ولكن حين انقضى عام ٧١ دون أى حسم ، اضطر السادات كما يقول المؤرخ عبد العظيم رمضان بالصفحة ٤٣ من كتابه ، أن يتذرع باندلاع الحرب الهندية الباكستانية فى ٣ ديسمبر ١٩٧١ مختلقا قصة الضباب المشهورة .

فما هى علاقة الحرب الهندية الباكستانية بانقضاء عام الحسم دون حسم ! ، وهى التى حدثت فى الأيام الأخيرة من عام ٧١. من الصعب اكتشاف أى علاقة منطقية بين تلك الحرب وبين فشل الحسم الذى كان السادات يكرره طوال عام ٧١ ، إلا إن كان هذا الحسم الذى كان يقصده كان حسما سلميا ، يعتمد فيه السادات على مجهودات آخرين مؤثرين على نظام عالم هذا الزمن ، الذى كان معروفا بزمن الحرب الباردة بين قطبى العالم – الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى .

وكان كل ما نعرفه فى ذلك الوقت عن تلك الحرب الهندية الباكستانية ، أنها بدأت بضربة جوية استباقية فاشلة من الباكستان ضد الهند مساء يوم ٣ ديسمبر عام ٧١ ، فأعلنت أنديرا غاندى رئيسة الهند الحرب على الباكستان ، وانتهت الحرب سريعا يوم ١٦ ديسمبر بهزيمة قاسية للباكستان ، فقدت فيها الباكستان نصف أرضها الشرقية ، ونشأ عن تلك الحرب دولة جديدة ذات سيادة مستقلة فى الجزء الشرقى منها هى دولة بانجلاديش .

وكانت تلك الحرب فرصة للقوتين الأعظم فى زمن الحرب الباردة ، لإستعراض القوة ، فى محاولة لكسب مناطق نفوذ بعالم هذا الزمن .

وسارع نيكسون رئيس الولايات المتحدة بدعم باكستان بالسلاح وحرك الأسطول الثامن إلى خليج البنغال وحاملة الطائرات النووية إنتربرايز Enterprise . فسارع الإتحاد السوفييتى بدعم الهند بالسلاح ، وحرك هو الآخر بارجتين وغواصة مسلحين بالصواريخ النووية فى اتجاه خليج البنغال أيضا بالمحيط الهندى .

وعلى ذلك نتساءل : هل قصة الضباب التى اختلقها السادات كانت بسبب انشغال القوتين الأعظم عن لعب دور فعال فى أزمة الشرق الأوسط والصراع العربى الإسرائيلى ، نتيجة انشغالهما بالحرب الهندية الباكستانية ، رغم أن انشغالهما كان لأيام قليلة فى نهاية عام ٧١ ، كسب فيها الإتحاد السوفييتى نفوذا سياسيا وعسكريا جديدا عندما حسمت الهند الحرب لصالحها ضد الباكستان .

فهل كان هذا الإنشغال سببا لضياع حلم السادات بالحسم سلما أو حربا وسط ضباب دولى كثيف ؟! ، مما جعله مضطرا إلى تأليف قصة الضباب المشهورة تبريرا لعدم الحسم الذى كان يكرر إعلانه ، فاضطر أن يبرر ذلك بقوله : "أنه لولا قيام الحرب الهندية الباكستانية لقامت الحرب عام ٧١ وتم الحسم" . هنا يجب أن نقول أن السادات قد أخطأ كثيرا باستغبائه للشعب المصرى ، عندما اعتقد أن هذا الشعب يستطيع أن يبتلع ويهضم قصة الضباب التى ألفها . وكانت قصة الضباب قصة مفضوحة للجميع ، وكان مصطلح الحسم نفسه مصطلحا ضبابيا تاه معناه عند السادات ، فترك أمر معناه والمراد من مقصده للقوتين الأعظم ، فخذلته

القوتان بضباب انشغالهما عنه بالصراع والتنافس على مناطق نفوذ أخرى بمنطقة بعيدة بالقارة الآسيوية .

إن الكاتب الروائى المشهور توفيق الحكيم رحمه الله أصدر بيانا فى شأن تأخير الحسم بسبب الضباب – نيابة عن كتاب مصر وعن النخبة من مثقفيها – وجهه للسادات قائلا : إذا لم تكن ترى غير الضباب فاترك أمر الحكم والحسم للشعب .

وقد أثارت قصة الضباب غضب الشعب ، وانفجرت الإضطرابات بين الطلاب ، الذين مزقهم الشعور باليأس فى يناير ١٩٧٢ ، واعتصموا بجامعة القاهرة ومعظم كليات جامعة عين شمس . وأخذت الأقلام تندد بحالة اللاسلم واللاحرب .

ويقول اللواء الجمسى رئيس عمليات القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر – (نقلا عن كتاب المؤرخ عبد العظيم رمضان) – بمذكراته ص ٢١٤ (الطبعة الأولى ١٩٨٩) : " أحس السادات بأن شعبيته قد تأثرت ، وسمعته أخذت تتقوض . وحاول بث الطمأنينة فى قلوب الجماهير عن طريق تصريحات تؤكد أنه ليس هناك مايدعو لمناقشة قرار المعركة ، وأن المعركة حتمية ولابد منها . " .

وأطلق السادات شعار الحسم مرة أخرى على عام ١٩٧٢ فى خطابه بإحدى القواعد الجوية فى ٣٠ مارس ١٩٧٢ . وأثناء زيارة السادات لموسكو فى شهر إبريل ١٩٧٢ ، وكانت بدعوة من القيادة السوفييتية صارحه المارشال جريتشكو قائلا إن المتطلبات الثلاثة الأساسية

لحرب ناجحة هى : السلاح ، والتدريب ، وإرادة القتال. وقال : " إن المطلبين الأولين متوفرين لديكم ، أما المطلب الثالث ، فلكم أن تستشيروا ضميركم بشأنه " !

وفى أواخر عام ١٩٧٢ كان السادات قد استنفد تماما كل الوسائل السياسية والدبلوماسية ، التى كان يتبناها لتحريك القضية من مأزق "اللاحرب واللاسلم" . وحتى حين تقدم بمبادرته فى فبراير ١٩٧١ ، التى أكدها أيضا فى مايو من العام نفسه (المصدر : عبد العظيم رمضان/ المرجع السابق ص ٤١) ، وقامت مبادرته على مد فترة وقف إطلاق النار لمدة ٦ شهور ، ويتم البدأ فى تطهير قناة السويس بشرط أن تنسحب إسرائيل جزئيا من سيناء .

تلقى رسالة من الإدارة الأمريكية تعليقا على هذه المبادرة مفادها : بأنه إذا كان يظن أن تحديد موعد أخير لإنهاء وقف إطلاق النار يمكن أن يكون عامل ضغط على الولايات المتحدة فهو مخطئ ، لأن الحاجة تدعو إلى مزيد من الوقت ! ، مما يعنى أن وقف إطلاق النار هو أمر واقع لاتسعى إسرائيل أو الإدارة الأمريكية لتغييره ، وأن الزمن مع عدم انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها هو فى صالحها .

وكانت استجابة الولايات المتحدة لمبادرة السادات سلبية ومحبطة ، رغم محاولته تشجيع الإدارة الأمريكية على قبولها ، حين استدعى دونالد برجس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية فى ذلك الوقت ، وكلفه بنقل

رسالة إلى الرئيس نيكسون بأنه إذا تمكن من تنفيذ مبادرته – فك الإشتباك وإعادة فتح قناة السويس – فإنه سيطرد السوفييت من مصر .

وحين أراد السادات بعد ذلك أن يعطى ورقة ثمينة مقدما للولايات المتحدة ، وخاصة بعد أن فقد صبره لتجاهل السوفييت له واستخفافهم به ، أصدر قراره فى يوليو ١٩٧٢ بالإستغناء عن طائرات الميج ٢٥ بطياريها السوفييت بإجمالى لواءين جويين ، وهى طائرات متفوقة على طائرات الفانتوم التى كان يمتلكها سلاح الجو الإسرائيلى فى ذلك الوقت ، وكذلك الإستغناء عن الخبراء السوفييت الذين كانوا يشكلون فرقة صواريخ أرض جو والعديد من وحدات الحرب الإلكترونية .

وفعل السادات ذلك دون أن يساوم الإدارة الأمريكية مقدما على أى شيئ . كما لم يكن توقيت قراره هذا موفقا لأنه تم والإدارة الأمريكية منشغلة عنه وعن أزمة الشرق الأوسط وسط معركة الإنتخابات الرئاسية ، ولم تكن متعجلة فى شأن الإنشغال بتلك الأزمة ، وخاصة أن إيقاف إطلاق النار هو إيقاف سارى بالمنطقة والواقع هادئ على الأرض وكل شيئ فى مصلحة إسرائيل .

كما لم يبدى كيسينجر أى اهتمام بقرار السادات الإستغناء عن المستشارين السوفييت أثناء اجتماعه مع حافظ إسماعيل مستشار السادات للأمن القومى ، وعلق كيسينجر تعليقا يتسم بالتعالى على هذا القرار بقوله : أن البضاعة وصلت والهدف قد تحقق وبالتالى فما حدث أصبح تاريخا ، وهنرى كيسينجر لايهتم بالتاريخ ، والحاضر فى حالتنا هو الذى يصيغ

الأمر الواقع ، والأمر الواقع هو ركيزة إدارة الأزمات (أمين هويدى- "الفرص الضائعة" طبعة ١٩٩٢ ص ٢٨٨) .

وإضافة إلى انشغال الإدارة الأمريكية بانتخابات الرئاسة فى الشهور الأخيرة من عام ١٩٧٢ وتولى الإدارة الجديدة السلطة فى أوائل عام ١٩٧٣ ، فإنه حين بدأ حافظ إسماعيل مباحثاته السرية الأولى مع كيسينجر فى فبراير ١٩٧٣ ، كان كيسينجر حريصا على أن يؤكد لحافظ إسماعيل أن لاينتظر الكثير من الجانب الإسرائيلى إلا بعد الإنتخابات الإسرائلية فى أكتوبر ١٩٧٣ .

كما أن مؤتمر القمة السوفييتى الأمريكى الذى انعقد فى موسكو فى المدة من ٢٢ مايو إلى ٣٠ مايو ١٩٧٢ كان بمثابة صدمة للسادات وللشعب المصرى كما يقول المؤرخ عبد العظيم رمضان (كتابه "حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ" ص ٤٤) ، لأنه أكد الظن الذى كان يساور الجميع بأن الدولتين العظميين قد اتفقتا على استمرار حالة اللاسلم واللاحرب ، باعتبارها الحالة المناسبة لتجنب حدوث مواجهة بينهما .

من مجمل ماسبق فإنه يمكن القول بأن إعلان السادات عام ٧١ هو عام الحسم ، ثم إطلاق نفس الوصف على عام ٧٢ أيضا دون حسم ، لم يكن بقصد أن يكون ذلك ضمن خطة خداع سياسية للعدو ، بهدف مفاجأته بالحرب بعد ذلك فى عام ٧٣ كما يدعى البعض . كما لم تكن دوافع السادات بقراره الإستغناء عن الخبراء السوفييت ، بقصد أن يجعل إسرائيل

والغرب والشرق يظنون أن مصر لن تدخل المعركة التى سوف تدخلها فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

والسادات نفسه لم يقل بذلك ، بل قال بمذكراته إن دوافع إتخاذه قرار الإستغناء عن الخبراء السوفييت كان لموقف الإتحاد السوفييتى من إمداد الجيش المصرى بالمعدات والأسلحة وتسويفهم فى ذلك ، وأنه بنى استراتيجيته على أساس ألا يبدأ المعركة وعلى أرض مصر خبراء مقاتلين سوفييت . أما قول كيسينجر بمذكراته بعنوان "سنوات مضطربة" Years of Upheaval ص ٤٥٩ عن السادات : بأن ما فعله السادات بتكرار إعلانه للحسم عامى ٧١ ، ٧٢ دون حسم يشبه ما فعله هتلر من خداع فى الحرب العالمية الثانية حين حشد قواته على الحدود السوفييتية بشكل ظاهر ، ثم تعمد تركيز وسائل إعلامه بأنه يفضل المفاوضة ولا يفضل اللجوء إلى الحرب ، فصدقه ستالين ، وحين إطمأن هتلر لتصديقه ، فاجأه بالهجوم والحرب ، فإن قول كيسينجر هذا كان قولا مغلوطا ، لأن السادات لم يخدع عدوا حين أعلن الحسم عامى ٧١ ، ٧٢ دون حسم ، بل خدع شعبه وخدع نفسه .

لأن الثابت أن السادات لم يكن يسعى بالحسم حربا ، ولكنه كان يسعى بالحسم حسما دبلوماسيا تجنبا لمسئولية الحرب الجسيمة ، آملا من القوتين الأعظم تحريك الأزمة بأى مبادرة سلمية أو بقبول مبادرته التى أشرنا إليها من قبل .. ووجدنا فى النهاية أن السادات قد اضطر إلى خيار الحرب ، والإعتماد على إرادة شعب مصر الذى طال تجنيده للقتال والحرب

دون حرب أو سلم ، والتخلى عن أحلامه بتحريك الأزمة بمبادرات من هنا أو هناك .

وقد لخص عبد الغنى الجمسى ضرورة اللجوء إلى الحرب بمذكراته ص ٢٥٩ فى الآتى : أن مصر قد استنفدت كل الوسائل السياسية والدبلوماسية للخروج من "حالة اللاسلم واللاحرب" .

وأصبح واضحا أن سياسة الوفاق بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى لاتوفر الظروف المناسبة لحل المشكلة بما يتفق مع المصالح العربية ، بل إن هذه السياسة أصبحت فى صالح القوتين الأعظم وإسرائيل ، كما أن طول فترة الإنتظار على جبهة القتال التى امتدت إلى خمسة وستة أعوام دون جديد فى الموقف العسكرى أثرت بالسلب على معنويات القوات المسلحة ، وخاصة مع تغير مستوى المقاتل المصرى – بعد يونيو ١٩٦٧ – تغييرا جذريا ، بعد أن تم تجنيد شباب مصر من ذوى المؤهلات العالية ، وأصبحوا يشكلون نسبة كبيرة فى الوحدات المقاتلة كجنود وضباط .

ومع إستمرار التعبئة العامة منذ عام ١٩٦٧ ، كان يزداد عدد المقاتلين يوما بعد يوم ، وكلما طال الوقت أصبح المقاتل يتمنى بدء الحرب تحريرا لوطنه اليوم قبل غدا وإنهاء حالة اللاسلم واللاحرب ، هذه الحالة التى استنزفت كثيرا من طاقات مصر البشرية والإقتصادية نتيجة للتعبئة العامة عدة سنوات الأمر الذى كان يشكل ضغطا متزايدا على الجبهة الداخلية يوما بعد يوم .

الهدوء الذي يسبق العاصفة

اجتماع الوفد المصرى السورى السوفيتى فى الاسكندرية

وهنا بدأت العجلة تدور فى إتجاه قرار الحرب . وأوضح الشاذلى فى الباب السابع من مذكراته أنه فى ٢١ أغسطس ٧٣ إجتمع الوفدان المصرى والسورى بالإسكندرية ، وكان على رأس الوفد المصرى الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية والفريق سعد الدين الشاذلى (ر.أ.ق.م.م) ، وعلى رأس الوفد السورى اللواء طلاس وزير الدفاع واللواء يوسف شكور (ر.أ.ح.ق.م.س) . وكان هدف الإجتماع هو الإتفاق على أنسب الأوقات لساعة الصفر ، وتنسيق الخطط المصرية السورية الخاصة بالسرية والأمن والخداع التعبوي والإستراتيجي والسياسي .

في تمام الساعة ١٤٠٠ يوم ٢١ من أغسطس ٧٣ دخلت ميناء الإسكندرية باخرة ركاب سوفيتية وعليها ٦ رجال سوريين كان يتوقف على قرارهم مصير الحرب والسلام فى منطقة الشرق الأوسط. كان هؤلاء هم اللواء طلاس وزير الدفاع، واللواء يوسف شكور (ر.أ.ح. ق. م. س)، واللواء ناجى جميل قائد القوات الجوية والدفاع الجوى، واللواء حكمت الشهابي مدير المخابرات الحربية، واللواء عبد الرزاق الدردري رئيس هيئة العمليات، والعميد فضل حسين قائد القوات البحرية. كانوا جميعا بملابسهم المدنية ولم يخطر وسائل الإعلام فى مصر او فى سوريا بأي شىء عن هذا الموضوع سواء قبل وصول الوفد ام بعده. كنت أنا فى

استقبالهم على رصيف الميناء حيث خرجنا دون أية مراسم إلى نادى الضباط حيث أنزلوا خلال فترة إقامتهم بالإسكندرية.

وفي الساعة ١٨٠٠ من اليوم نفسه اجتمع الوفدان المصري والسوري فى مبنى قيادة القوات البحرية المصرية فى قصر رأس التين بالإسكندرية. كان الوفد المصري يتكون من الفريق اول احمد إسماعيل وزير الحربية، والفريق سعد الدين الشاذلى (ر.ا.ح.ق.م.م)، واللواء محمد على فهمي قائد الدفاع الجوى، واللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية، واللواء فؤاد زكرى قائد القوات البحرية، واللواء عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات، واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية. كان هؤلاء الرجال الثلاثة عشر هم المجلس الأعلى للقوات المصرية والسورية المشتركة، وكان يقوم بأعمال السكرتارية لهذا المجلس اللواء بهى الدين نوفل.

ويقول الشاذلى : كان الهدف من اجتماع هذا المجلس هو الاتفاق على ميعاد الحرب. وحيث إن قرار الحرب هو في النهاية قرار سياسى وليس قرارا عسكريا فقد كانت مسئوليتنا تنحصر فى إعطاء الإشارة للقيادة السياسية فى كل من مصر وسوريا بأننا جاهزين للحرب فى حدود الخطط المتفق عليها، وأن نحدد لهم افضل التواريخ المناسبة من وجهة نظرنا استمرت اجتماعاتنا خلال يوم ٢٢ من أغسطس، وفي صباح يوم ٢٣ من أغسطس كنا قد اتفقنا على كل شيء وأخذنا نعد الوثائق الرسمية لهذا الاجتماع التاريخي. وكان قرارنا يتلخص في أننا مستعدين وجاهزون للحرب وفيما يتعلق بتاريخ الحرب فقد اقترحنا توقيتين أحدهما خلال الفترة

من ٧ ألى ١١ من سبتمبر والثاني خلال الفترة من ٥ ألى ١١ من أكتوبر ٧٣.

وعلاوة على ذلك فقد اقترحنا افضل الأيام داخل كل مجموعة من التوقيتية وقد طالبنا للقيادة السياسية بأن تخطرنا بالقرار الخاص بتوقيت الحرب قبل بدء القتال بخمسة عشر يوما، وقد حرر محضر الاجتماع من صورتين وتم التوقيع عليهما من قبل كل من ر.ا.ح.ق.م السوري والمصري (اللواء يوسف شكورعن الجانب السوري، والفريق سعد الدين الشاذلي عن الجانب المصري). كان انتخاب توقيت سبتمبر يعنى أن القيادة السياسية يتحتم عليها اتخاذ القرار و إخطارنا به قبل يوم ٢٧ من أغسطس أي بعد ٤ أيام على الأكثر من تاريخ انتهاء المؤتمر، فلما جاء يوم ٢٨ دون أن نخطر بشيء بدا واضحا أن الحرب ستكون في ٥ من أكتوبر او بعد ذلك بقليل.

وفرضت سرية الإجتماع عودة الوفد السورى اعتبارا من يوم ٢٤ من أغسطس، ولكن بأسلوب مختلف تماما عن أسلوب حضورهم. فمنهم من عاد جوا عن طريق السعودية، ومنهم من عاد بطريق البحر، ومنهم من بقي عدة أيام أخرى ، واعتبارا من ٢١ من سبتمبر بدأ العد التنازلي نحو حرب أكتوبر.

ويتساءل إيلى عازيرا رئيس المخابرات الإسرائيلية (الموساد) فى مذكراته : لماذا لم تصل "معلومة" عن اللقاء المصرى السورى فى الفترة من ٢١ إلى ٢٣ أغسطس ١٩٧٣ ؟ . ثم يقول زاعيرا : حسب إعتقادى

فإن ماتم إخفاؤه عن "الوكالة" (يقصد الموساد) بشأن هدف زيارة السادات للسعودية فى أغسطس ١٩٧٣ مع الملك فيصل ، وماتم إخفاؤه عن "الوكالة" من معلومات عن اللقاء المصرى السورى فى الإسكندرية فى أغسطس نفس العام ، وكذلك القرار الحقيقى والوحيد عن موعد الحرب ضد إسرائيل ، ووصول معلومة فى نفس الوقت تفيد أن السادات قد أرجأ الحرب إلى نهاية العام ، كل ذلك يشهد على أن "المنبع" كان تتويجا لنجاح خطة الخداع المصرية – (ملحوظة : غالبا كان يقصد زاعيرا بـ "المنبع" أشرف مروان صهر الرئيس عبد الناصر كمنبع لمعلومات الموساد الإسرائيلى ، حيث سرّب الموساد خبرا بعد وفاة أشرف مروان مقتولا أو منتحرا بلندن فى ٢٧ يونيو ٢٠٠٧ أنه كان عميلها وأكبر جواسيسها وأهمهم . فى حين قال الدكتور عبد المنعم سعيد رئيس مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية : إن مروان كان جزءا من خطة الحرب المصرية ، وكان عميلا مزدوجا كحلقة مهمة فى عملية خداع إسرائيل فى حرب ٧٣) .

أما بخصوص خداع العدو عن نوايا مصر وسوريا بالهجوم فيقول الشاذلى : قد كانت لدينا خطة متكاملة تشمل الخداع التكتيكي والتعبوي والإستراتيجي والسياسي. وقد تم تنسيق خططنا للخداع مع خطط الجانب السوري خلال الإجتماع بالإسكندرية في أغسطس ٧٣. كانت الخطة تعتمد على سلسلة من الأحداث تقع في عدة تواريخ محددة على المستويين العسكري والسياسي مما يعطي انطباعا بأن الحرب ليست متوقعة في الوقت الذي حددناه لها . ويستعرض الشاذلى فى مذكراته بعض أمثلة لتلك الأحداث التى تنفيذها اصطناعا تنفيذا لخطة الخداع التكتيكى والتعبوى

والإستراتيجى ثم يقول : وهكذا فإن المفاجأة التي حققناها يوم ٦ من أكتوبر ٧٣ كانت نتيجة سلسلة من الإجراءات المتعددة التي كان يجري تنفيذها ضمن خطة محبوكة الأطراف تم وضع أسسها قبل بدء الحرب بمدة طويلة .

ويقول إيلى زاعيرا رئيس المخابرات الإسرائيلية : أما الذى لم نتوقعه ، وكان بمثابة مفاجأة لنا ، هو رد الفعل السوفييتى ، ففى الساعات المتأخرة من مساء ٤ أكتوبر أسرع الخبراء السوفييت الذين يقيمون بالقاهرة هم وعائلاتهم إلى المطار ، وأقلعوا إلى موسكو ، وفى ظهر اليوم التالى ٥ أكتوبر كانت عملية الرحيل قد اكتملت . وأنا اعتقدت أن السوفييت قد تأكدت شكوكهم من صور أقمار التجسس ... وربما تلقوا إشارة ما من الرئيس السادات أو الرئيس الأسد ، وعلى أى حال أصبح واضحا فى يوم ٤ أكتوبر أن السوفييت واثقون ، من أن الحرب على الأبواب . كما تم إعداد خطة مصرية خاصة لنقل معدات العبور من المؤخرة إلى الجبهة ومن الجبهة إلى المؤخرة وكذا تحركات بطول المنطقة ، حتى يبدو الأمر وكأنه تدريب على التحركات ، ولاحظنا دفع القوات الرئيسية من العمق إلى الجبهة أثناء تلك التحركات قبل ثلاثة أسابيع من موعد بداية الهجوم ، وبتمويه جيد من أعمال هندسية متقنة ، كان يبدوا الأمر وكأنه يتعلق بمجرد مناورة ، ولكن فجأة وفى ذروة المناورة ، تحولت المناورة إلى قتال فعلى ..!! .

ثم يقول إيلى زاعيرا : أن عدد الضباط الذين كانوا يعملون بتطوير المناورة إلى حرب كان محدودا جدا ، وعندما حاصرت مجموعة عمليات

"بران" الجيش الثالث المصرى ، قامت بأسر آلاف الجنود المصريين ، ومن بينهم ضباط من قيادة الجيش ، ومن بين هؤلاء الضباط الذين تم أسرهم ، ضابط برتبة عقيد وهو ضابط من ضباط قيادة الدفاع الجوى . وخلال استجوابه الذى أجريته له فى معسكر للأسرى بجنوب سيناء قال لى : يوم ٦ أكتوبر وفى الساعة ١٣.٣٠ تم استدعاء ضباط القيادة – وهو من ضمنهم – إلى مكتب قائد الجيش . وعندما دخلوا إلى مكتبه وجدوه يصلى ، وعندما أنهى صلاته أبلغهم أن المناورة قد تطورت إلى حرب حقيقية ، وفى هذه اللحظة سمعوا أزيز طائرات القتال المصرية المتجهة لمهاجمة أهداف فى سيناء . ويقول زاعيرا : أن عنصر الخداع المصرى هو الذى ساهم أكثر من أى شيئ آخر فى عدم فهم طبيعة الإعدادات المصرية لعبور القناة ، ثم يقول : أن خطة الخداع اشتملت أيضا على خطوط رئيسية من الدعاية السياسية ، بهدف خدمة خطة الخداع ، وقد تكللت جميعها بالنجاح ، ويمكننى القول أن خطة الخداع التكتيكية والإستراتيجية حققت نجاحا ساحقا ، لدرجة أن أجهزة المخابرات العالمية ، وعلى رأسها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، استخلصت نتائج خاطئة ، وفوجئ العالم كله بالهجوم المصرى – السورى .

أما كيسينجر وزير خارجية الولايات المتحدة وقت حرب أكتوبر ومستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى فقد خصص فصلا كاملا بدأه بالصفحة رقم ٤٥٩ بعنوان " لماذا أُخذنا على حين غرة" **Why we were surprised** بمذكراته "سنوات مضطربه" **Years of Upheaval** أوضح فى مقدمته أمثلة من أساليب المفاجأة فى الحرب العالمية الثانية ثم قال :

أن الهجوم المصرى السورى على إسرائيل كان مفاجأة استرتيجية وتكتيكية من النوع التقليدى ، ولم تنتج بشكل كامل عن خداع للخصم أو عن التشويش عليه بمعلومات متناقضة لإفقاده القدرة على التمييز بين الصحيح وغير الصحيح منها ، بل نتجت المفاجأة أساسا نتيجة لخطأ الخصم فى التفسير الصحيح للوقائع المتاحة ، والتى لم يكن يخفيها الآخر بأى ستار كثيف من المعلومات المتناقضة . والنص الإنجليزى هو مايلى :

But the surprise of the october war is not explained fully by either background "noise" or deception. It resulted from the misinterpretation of facts available for all to see . unbeclouded by any conflicting information.

ثم يقول كيسينجر : " أن كل التحليلات الإسرائيلية والأمريكية ، كانت تضع عجز القدرة العسكرية لكل من مصر وسوريا ، عن تحرير الأراضى المحتلة بالحرب ، فى مقدمة استلالاتها للوصول إلى نتيجة واحدة هى عدم توقع أى هجوم من جانبهما . كما أن إعتقادنا أنهم سوف ينتظرون كالعادة ماوعدناهم به من تحرك فعال فى اتجاه الحل السلمى بعد انتهاء الإنتخابات الإسرائيلية فى ٣٠ أكتوبر كان يدعم توقعنا عدم الهجوم فى أكتوبر على الأقل " . ثم يقول كيسينجر : "وكان الإسرائيليون فى الجانب الآخر يفترضون وبشكل ساذج أن مصر لن تهاجم ، طالما أن قواتها لاتملك تفوقا عليهم فى السلاح الجوى ، وأنه لن يحدث أى هجوم عليهم قبل أن يعلمون به فى وقت يتراوح بين ٢٤ ساعة إلى ٤٨ ساعة على الأقل . وهذا وقت كاف لكى تتدخل الولايات المتحدة فى الأمر دبلوماسيا ،

وهو كاف أيضا لإسرائيل لتعبئة قواتها واستدعاء الإحتياط " . ويقول إيلى زاعيرا رئيس الموساد فى ذلك الوقت بمذكراته : " كيف لم تصل لنا أية معلومات تحذيرية إلا قبل ساعة الصفر بأربعين ساعة ؟ ! بينما "المنبع" – (سبق أن أوضحنا من هو المقصود بالمنبع) – الذى هو ليس مصدر التحذير قد علم يوم ٢٥ سبتمبر أن الحرب على الأبواب . أى قبل عشرة أيام من نشوب الحرب ؟ " .. أى أن زاعيرا رئيس الموساد علم بالحرب قبل نشوبها على الأقل بأربعين ساعة ، ولكن من رحمة الله أن القادة الإسرائليين كان يعميهم الغرور بعد انتصارهم الكاسح فى يونيو ١٩٦٧، ووصل هذا الغرور إلى درجة الثقة – التى تكاد أن تكون مطلقة– بأن الجيش المصرى غير مؤهل بعد نكسة يونيو١٩٦٧ لبدء أى حرب يمكن أن ينتصر فيها ، فلم يهتموا كثيرا بالمعلومات التى توفرت لديهم عن نية مصر وسوريا لبدء الحرب .

وحينما حققت القوات المصرية والسورية المفاجأة الكاملة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، أمرت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير فى أواخر نوفمبر ١٩٧٣ أى قبل انقضاء أسابيع قليلة من إيقاف إطلاق النيران بتشكيل لجنة برئاسة القاضى شمعون أجرانات ، لمعرفة أسباب التقصير الذى تم ومن المتسبب فى ذلك ، ومثُل أمام تلك اللجنة كل من رأت اللجنة استدعاءه حتى جولدا مائير نفسها ، وموشى ديان وزير الدفاع ودافيد إليعازر رئيس الأركان وشموئيل جونين قائد المنطقة الجنوبية فى مواجهة الجبهة المصرية .

خطة المآذن العالية

أما خطة "المآذن العالية" فيقول الشاذلى : " كنا نقوم بتحضيرها فى سرية تامة ، ولم يكن يعلم بها أحد من المستشارين السوفييت ، كما أن عدد القادة المصريين الذين سُمح لهم بالإشتراك فى مناقشتها كان محدودا للغاية" . ورغم معرفة السوفييت باحتياجات مصر لتنفيذ الخطة ٤١ ، إلا أنهم لم يقدموا لمصر مايكفى لتغطية الأسلحة اللازمة لتنفيذها ، كوسيلة لشل يدها عن تنفيذها" ! .

وعلى ذلك فإنه حسب هذا القول الذى قال به المؤرخ الدكتور عبد العظيم بكتابه المذكور قبل (الناشر: مكتبة الأسرة ١٩٩٥) ، فلم يكن هناك قبل الدخول فى الحرب مباشرة سوى خطتان للعمليات ، خطة محدودة وسرية هى خطة "المآذن العالية" ، وخطة أخرى مشاعة ومعروفة للسوفييت ولمعظم القادة المصريين هى الخطة "٤١" ، بغرض اطلاع السوفييت على مايجب أن يكون لدى القوات المصرية من سلاح ومعدات عسكرية ، ولكن لم يقدم السوفييت مايكفى لتغطية الأسلحة اللازمة لتنفيذ هذه الخطة ، وهذا ماسوف نناقشه تفصيلا عند الحديث عن أوضاع جبهة القتال من ١٠ إلى ١٤ أكتوبر ٧٣ وعن ثغرة الدفرسوار وحصار الجيش الثالث الميدانى .

يقول الشاذلي عن الخطة التي وضعها للهجوم على إسرائيل واقتحام قناة السويس التي سماها" المآذن العالية: "

إن ضعف قواتنا الجوية وضعف إمكاناتنا في الدفاع الجوي ذاتي الحركة يمنعنا من أن نقوم بعملية هجومية كبيرة.. ولكن في استطاعتنا أن نقوم بعملية محدودة، بحيث نعبر القناة وندمر خط بارليف ونحتل من ١٠ إلى ١٢ كيلومترا شرق القناة. كانت فلسفة هذه الخطة تقوم على أن لإسرائيل مقتلين:

المقتل الأول : هو عدم قدرتها على تحمل الخسائر البشرية نظرًا لقلة عدد أفرادها.

المقتل الثاني : هو إطالة مدة الحرب، فهي في كل الحروب السابقة كانت تعتمد على الحروب الخاطفة التي تنتهي خلال أربعة أسابيع أو ستة أسابيع على الأكثر؛ لأنها خلال هذه الفترة تقوم بتعبئة ١٨% من الشعب الإسرائيلي وهذه نسبة عالية جدًّا.

ثم إن الحالة الاقتصادية تتوقف تمامًا في إسرائيل والتعليم يتوقف والزراعة تتوقف والصناعة كذلك ؛ لأن معظم الذين يعملون في هذه المؤسسات في النهاية ضباط وعساكر في القوات المسلحة؛ ولذلك كانت خطة الشاذلي تقوم على استغلال هاتين النقطتين.

الخطة كان لها بعدان آخران على صعيد حرمان إسرائيل من أهم مزاياها القتالية يقول عنهما الشاذلي: "عندما أعبر القناة وأحتل مسافة بعمق ١٠: ١٢ كم شرق القناة بطول الجبهة (حوالي ١٧٠ كم) سأحرم العدو من أهم ميزتين له؛ فالميزة الأولى تكمن في حرمانه من الهجوم من الأجناب؛ لأن أجناب الجيش المصري ستكون مرتكزة على البحر المتوسط

في الشمال، وعلى خليج السويس في الجنوب، ولن يستطيع الهجوم من المؤخرة التي ستكون قناة السويس، فسيضطر إلى الهجوم بالمواجهة وعندها سيدفع الثمن فادحًا."

وعن الميزة الثانية قال الشاذلي: "يتمتع العدو بميزة مهمة في المعارك التصادمية، وهي الدعم الجوي السريع للعناصر المدرعة التابعة له، حيث تتيح العقيدة القتالية الغربية التي تعمل إسرائيل بمقتضاها للمستويات الصغرى من القادة بالاستعانة بالدعم الجوي، وهو ما سيفقده لأني سأكون في حماية الدفاع الجوي المصري، ومن هنا تتم عملية تحييد الطيران الإسرائيلي من المعركة.

معركة الثأر وساعة الصفر

بعد أسبوعين من تولى هنرى كيسينجر مهام وظيفته كوزير لخارجية الولايات المتحدة بجانب عمله كمستشار للرئيس نيكسون للأمن القومى ، وتحت عنوان "الحرب فى الشرق الأوسط" ص ٤٥٠ من مذكراته بعنوان "سنوات مضطربة" Years of Upheaval قال كيسينجر : "فى تمام الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشر بتوقيت واشنطن من صباح يوم السبت الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٣ – (الواحدة والربع بعد الظهر بتوقيت القاهرة) – ، كنت مستغرقا فى نومى ، وإذا بى أفاجأ بمعاونى النشط سيسكو Joseph J. Sisco يقتحم حجرة نومى صائحا بأن الحرب على وشك الإشتعال بين إسرائيل وبلدين عربيين هما مصر وسوريا . وكان سيسكو واثقا بأن كل طرف قد أخطأ قراءة نوايا الآخر، وكان ذلك اسيقاظا مزعجا لى ، وقلت فى نفسى : أنه إذا أمكننى وضع أخطاء الطرفين أمامى الآن ، فقد يمكننى ضبط الأمور بينهما وهى فى بدايتها ، ولكن كان ذلك مبالغة فى تقدير قدراتى بعد أن تفاقمت الأمور بشكل متسارع لسوء الحظ".

إن ما دعا سيسكو إلى المبادرة بإيقاظ كيسينجر بهذا الشكل وفى وقت مبكر ، أن جولدا مائير استدعت السفير الأمريكى فى القدس إلى مكتبها قبل ساعتين . ويقول كيسينجر : كان ذلك شيئا غريبا وغير متوقع أن تعمل أو يعمل أى إسرائيلى فى مثل يوم السبت هذا ، فبالإضافة إلى كونه يوم سبت ، فهو يوم كيبور Yom Kippur – عيد يوم الغفران –

أقدس يوم فى السنة العبرية . وطلبت جولدا مائير من السفير الأمريكى إرسال رسالة عاجلة إلى كيسينجر قالت فى بدايتها المفزعة startling : أن إسرائيل بدأت تواجه مصيرها ، وقد تتعرض لبعض المصاعب ، وأن تحركات القوات المصرية والسورية على الجبهتين الجنوبية والشمالية التى اعتقدنا أنها مجرد مناورات عسكرية اعتدنا عليها ، أخذت فجأة أوضاعا هجومية ، وبات أكيدا لدينا أن هجوما مصريا سوريا مشتركا سوف يشن علينا بعد ظهر اليوم . وطلبت جولدا مائير من السفير الأمريكى أن يتم إخبار الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى ودول الجوار العربى بصورة سريعة : بأن إسرائل ليست لديها أى نية لمهاجمة مصر وسوريا ، وبرهانا من إسرائيل على حسن نواياها فإنها لن تستدعى احتياطها ولن تعلن حالة التعبئة العامة .

وفى تمام الساعة السادسة وأربعين دقيقة صباحا (بتوقيت واشنطن) ، اتصل كيسينجر بالسفير السوفييتى بواشنطن أناتولى دوبرينين Anatoli Dobrynin ، الذى استيقظ من نومه وبدا عليه الذهول (أو تظاهر بذلك على حد قول كيسنجر) ، وحين أبلغه كيسينجر بضرورة الإتصال حالا بموسكو والقاهرة ودمشق وإبلاغهم بأن إسرائيل ليس لديها أى نية للهجوم ، كان رد دوبرنين عليه أن ذلك ليس سوى حلقة بمسلسل معروف تتمثل أحداثه فى نية إسرائيل بالقيام بهجوم سوف تسميه بالهجوم الوقائى pre-emptive attack ، فقاطعه كيسينجر بنفاذ صبر قائلا : " إذا استمر الحديث بيننا على هذا الشكل فقد تبدأ الحرب قبل أن تعرف ماأريده " .

وفى تمام الساعة السابعة صباحا بتوقيت واشنطن ، اتصل كيسينجر بوزير خارجية مصر محمد حسن الزيات الذى كان فى نيويورك ، ثم أعاد الإتصال به ليأخذ جوابا من القاهرة ، ثم أعاد الإتصال به للمرة الثالثة فى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين دون جدوى . وأخيرا اتصل به الزيات مجيبا على اتصالاته فى تمام الساعة الثامنة والربع صباحا ، لإبلاغه جواب القاهرة بأن الوحدات البحرية الإسرائيلية مدعمة بالطيران هى التى قامت بمهاجمة المواقع المصرية فى خليج السويس ، وتحاول مصر ردها على أعقابها . ولم يقل الزيات فى هذا الشأن بأكثر مما أعلنته إذاعة القاهرة على الشعب المصرى ، حين قطعت برامجها المعتادة ، وأذاعت بيانا فى تمام الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر بتوقيت القاهرة بأن إسرائيل قد شنت هجوما على الزعفرانة بخليج السويس ، ثم أذاعت بيانا بعد ذلك فى تمام الساعة الثانية بعد الظهر (أى بعد نصف ساعة تماما) بأن القوات المسلحة المصرية تعبر قناة السويس أخذا بالثأر **in reprisal** . ولم يقنع هذا الكلام كيسينجر فقال للزيات : إن هذا شيئ غير مفهوم ، وأن بدأ إسرائيل بالعدوان وخرق وقف إطلاق النار هو أمر بعيد الإحتمال ، كما لايعقل أن تشن إسرائيل حربا فى يوم الغفران ، وهو من أقدس أيام السنة لديها ، ومن النادر أن تخوض حربا دون تعبئة مسبقة ، كما لايمكن أن تبدأ إسرائيل عدوانا بمعركة بحرية ضد أبعد هدف من حدودها ...!!

ونحو الساعة التاسعة والدقيقة العشرين بتوقيت واشنطن ، اتصل كيسينجر مرة أخرى بالسفير السوفييتى دوبرنين قائلا له : أن مصر وسوريا قامتا بهجوم مفاجئ . وعندما إعترض على قوله دوبرنين قائلا :

أن الزيات يدعى عكس ذلك . أجابه كيسينجر بجفاء : أنت وأنا نعلم أن هذه خدعة مصرية سورية ، فلو كانت نية الإسرائيليين القيام بهجوم لما هاجموا خليج السويس ، ثم قال له متسائلا : كيف يبدأ المصريون والسوريون هجومهم فى نفس التوقيت وفى الدقيقة ذاتها وعلى جميع الخطوط إلا أن يكون ذلك ضمن خطة متفق عليها وتم إعداها مسبقا ، وليس كرد فعل انتقامى على هجوم بحرى إسرائيلى كما تدعى مصر . ثم حذر كيسينجر دوبرنين قائلا : "أن كل ماتم حتى الآن فى سبيل تحسين العلاقات بين موسكو وواشنظن يمكن طيه فى لحظة واحدة وكأنه لم يكن فى حالة احتدام الوضع فى الشرق الأوسط لصالح دول المواجهة العربية مع إسرائيل" !!

يقف فى الوسط أنور السادات رئيس جمهورية مصر (القائد السياسى للمعركة) ، وعلى يساره الفريق أول أحمد إسماعيل القائد السياسى كوزير للحربية والقائد العام ، وعلى يمينه الفريق سعد الدين الشاذلى القائد العسكرى الميدانى رئيس أركان حرب القوات المسلحة

وتحطمت أقاويل الخبثاء عن عجز الإنسان المصرى ، كما تحطمت أسطورة التفوق الإسرائيلى ، وسقط قناع الغرور الذى غطى وجه المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، فقد كان بالرجال شوق ولهفة إلى الإنطلاق وإلى الثأر والإنتقام . وبدأت حرب أكتوبر بانطلاقة العبور الجسورة لقناة السويس واقتحام خط بارليف الحصين وتدميره وأسر المحصنين به وقتلهم ، وكانت تلك الإنطلاقة أعظم سيمفونية عزفها أبطال مصر من المجندين وغير المجندين من كافة فئات الشعب وطبقاته .

وكانوا جميعا رجال آمنوا بنصر الله فنصرهم الله بقوة إيمانهم ، زلزل صياحهم بملء حناجرهم بكلمتى "الله أكبر" لحظة العبور كل أرجاء الدنيا والمكان ، فغطى على كل ضجيج قصف المدافع وصفير انطلاق الصواريخ ودوِىّ القنابل وانفجارات طوربيدات فتح الثغرات بحقول الألغام ، وطربت السماء لتكبيراتهم المدوِية كالرعد فسارعت ملائكة الرحمن تقف بين صفوفهم انتصارا للحق وإعلاءا لكلمة الله . وفرضت روح القتال العظيمة التى حارب بها شباب مصر على الدنيا كلها ، احتراما جديدا لقيمة الإنسان العربى .

وكان البطل الحقيقى فى العبور واقتحام خط بارليف المنيع شرق قناة السويس هو الإنسان المصرى العادى الذى كان فى مقدمته حملة المؤهلات العليا من المجندين .

حرب أكتوبر

في يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ في الساعة ١٤٠٥ (الثانية وخمس دقائق ظهراً) شن الجيشان المصري والسوري هجومًا كاسحًا على إسرائيل، بطول الجبهتين، ونفذ الجيش المصري خطة "المآذن العالية" التي وضعها الفريق الشاذلي بنجاح غير متوقع، لدرجة أن الشاذلي يقول في كتابه "حرب أكتوبر": "في أول ٢٤ ساعة قتال لم يصدر من القيادة العامة أي أمر لأي وحدة فرعية.. قواتنا كانت تؤدي مهامها بمنتهى الكفاءة والسهولة واليسر كأنها تؤدي طابور تدريب تكتيكي."

موقف سعد الدين الشاذلى من تطوير الهجوم

أرسلت القيادة العسكرية السورية مندوبًا للقيادة الموحدة للجبهتين التي كان يقودها المشير أحمد إسماعيل علي تطلب زيادة الضغط على القوات الإسرائيلية على جبهة قناة السويس لتخفيف الضغط على جبهة الجولان، فطلب الرئيس السادات من إسماعيل تطوير الهجوم شرقًا لتخفيف الضغط على سوريا، فأصدر إسماعيل أوامره بذلك على أن يتم التطوير صباح ١٢ أكتوبر .عارض الفريق الشاذلي بشدة أي تطوير خارج نطاق

الـــ١٢ كيلو التي تقف القوات فيها بحماية مظلة الدفاع الجوي، وأي تقـــدم خارج المظله معناه أننا نقدم قواتنا هدية للطيران الإسرائيلي.

بناء على أوامر تطوير الهجوم شرقًا هاجمت القوات المصرية فـــي قطاع الجيش الثالث الميداني (في اتجاه السويس) بعدد ٢ لواء، هما اللواء الحادي عشر(مشاة ميكانيكي) في اتجاه ممر الجدي، واللواء الثالث المدرع في اتجاه ممر متلا.

في قطاع الجيش الثاني الميداني (اتجاه الإسماعيلية) هاجمت الفرقة ٢١ المدرعة في اتجاه منطقة "الطاسة"، وعلى المحور الشـــمالي لســـيناء هاجم اللواء ١٥ مدرع في اتجاه "رمانة". كان الهجوم غير موفق بالمرة كما توقع الشاذلي، وانتهى بفشل التطوير، مع اختلاف رئيسي، هو أن القـــوات المصرية خسرت ٢٥٠ دبابة من قوتها الضاربة الرئيســـية فـــي ســـاعات معدودات من بدء التطوير للتفوق الجوي الإسرائيلي.

بنهاية التطوير الفاشل أصبحت المبادأة في جانب القوات الإسرائيلية التي استعدت لتنفيذ خطتها المعدة من قبل والمعروفة باسم "الغزالة" للعبور غرب القناة، وحصار القوات المصرية الموجودة شرقها خاصة وأن القوات المدرعه التي قامت بتطوير الهجوم شرقا هي القوات التـــي كانـــت مكلفـــة بحماية الضفة الغربية ومؤخرة القوات المسلحة وبعبورهـــا القنـــال شـــرقا وتدمير معظمها في معركة التطوير الفاشل ورفض السادات سحب ما تبقى من تلك القوات مرة أخرى إلى الغرب، أصبح ظهر الجيش المصري مكشوفا غرب القناة. فيما عرف بعد ذلك بثغرة الدفرسوار.

ولكن لابد هنا فى هذا المقام أن نذكر بالضرورة بطلا لكل أبطال هذه الحرب هو الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية ، القائد الجرئ الذى خطط بدقة عملية العبور التاريخية ، وقاد على الأرض سيمفونية العبور الرائعة بكل ثقة واقتدار، وهو الرجل العسكرى الصلب الذى لايلين مع الصعاب ، وهو البطل الذى قاد الإنسان المصرى العادى مع قادة الجيشين الميدانين الثانى والثالث إلى النصر بفضل الله ، وهو الذى شهد له الجميع – أعداؤه قبل أصدقائه – بالجرأة والتميز فى كافة فنون القتال والحرب والمناورة بالقوات ، وبالقدرة الفائقة على اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب أثناء سير العمليات العسكرية على الأرض .

وهو الذى وضعت أكثر المجلات انتشارا فى العالم الغربى صورته على غلافها بعد الحرب باعتباره القائد المصرى المنتصر ، مما أثار حفيظة السادات عليه فعمد إلى تهميش دوره فى معركة الثأر بمذكراته التى سماها "البحث عن الذات" ، فسار على نهجه بعد ذلك الإعلام المصرى الرسمى المنافق ، الذى كان يتعمد تجاهل دوره الأهم بمعركة الثأر مع كل قدوم سنوى لعيد النصر فى ٦ أكتوبر ، وهو – أى الشاذلى – الذى قاد على أرض معركة الثأر كل القوات المصرية (برية وجوية وبحرية) Chief of Staff ، وكان يقابله من جهة العدو بالجيش الإسرائيلى دافيد إليعازر David Elazar ، الذى شهد له بتميزه كقائد عسكرى ميدانى أثناء تلك المعركة التاريخية !! .. رحم الله الفريق الشاذلى وأسكنه فسيح جناته ، فقد توفى إلى رحمة الله أثناء ثورة الشعب المصرى وقبل خلع مبارك عن

عرشه وإسقاط نظامه الفاسد فى ١١ فبراير العام الحالى ٢٠١١ بيوم واحد ..

وإن كانت كارثة التجهيل الغبية المتغابية لدور البطل سعد الدين الشاذلى فى معركة الثأر ، بدأت أيام حكم السادات لمصر ، فقد تعاظمت تلك الكارثة واكتملت مع تولى حسنى مبارك حكم مصر بعد اغتيال السادات ، فبدأ التهليل الإعلامى المصطنع للرئيس الجديد ، وهو الدور الوحيد الذى اعتدناه دائما من الإعلام المصرى الرسمى الذى يسمونه زورا وبهتانا بالإعلام القومى ، وهو الدور الذى أتقنه هذا الإعلام باعتباره الحاشية الملازمة والتابع المنافق لكل حاكم ، وهو الذى زاد إتقانه لهذا الدور المعيب المرذول مع طول الزمن والتعود على فن الإخفاء المتعمد للحقائق ، فأجاد تزوير الوقائع وتميز فى اصطناع البطولات المزيفة لكل حاكم لمصر يأتى عن طريق الصدفة البحتة ، أو يأتى عن طريق الغلبة والوصاية أو التوارث . فحين صار "الرئيس" مبارك رئيسا فجأة ، صارت صورته الإعلامية النمطية حتى رحيله وخلعه بثورة الشعب عليه وعلى نظامه فى يناير ٢٠١١ ..

تقوم على أنه "صاحب الضربة الجوية" التى أدت إلى نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، فكان ذلك كما يقول الدكتور يوسف زيدان تحقيرا لقرابة مليون شخص كانوا يحاربون تلك الحرب ويموتون من أجل النصر، وكان ذلك أيضا تحقيرا للتفكير المنطقى البسيط القائل بأن "العبور" هو إنجاز لسلاح المهندسين ، وكان ذلك أيضا تجهيلا متعمدا لدور القائد البطل الفريق سعد الدين الشاذلى الذى كان قائدا لكل القوات بما فيها القوات الجوية بقائدها

اللواء حسنى مبارك الذى اصطنع له الإعلام المصرى المنافق دور البطولة و "صاحب الضربة الجوية" ، ونسى هذا الإعلام المنافق أو تناسى أن الثغرة – التى سوف نتحدث عنها فى الحلقات القادمة – ووقفت علقما مرا مريرا فى حلق انتصارنا ، كانت بسبب التدخل المعيب من السادات فى الشأن العسكرى أثناء سير العمليات العسكرية على أرض المعركة ، وأيضا بسبب عدم كفاءة وقدرة الطيران المصرى على التصدى للمدرعات الإسرائيلية وقصفها أثناء تسللها لضفة قناة السويس الغربية من ثغرة الدفرسوار بغرض عزل الجيش الثالث الميدانى وحصاره بالضفة الشرقية للقناة ...

وللحقيقة نقول أن معركة الثأر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، قد بدأت بضربة جوية خاطفة مفاجئة لمجرد رفع معنويات الجنود الأبطال المتأهبين للحظة العبور، وكان هذا هو الهدف الرئيسى منها . كما كان المطلوب منها هو استغلال عنصر المفاجأة وضرورة تقصير وقت الضربة الجوية إلى أقل وقت ممكن ، لتجنب اصطدام الطيران المصرى اصطداما كارثيا بطيران العدو المتفوق ، ولأن استمرارها لوقت أطول فى الجو كان يعنى تحييدا وتعطيلا مرفوضا لمنظومة الدفاع الجوى المصرى ، التى كانت صاحبة الدور الأهم والأساسى فى حماية فضاء العبور وسماء معركة الثأر من تدخل طيران العدو . ويقول المؤرخ العسكرى جمال حماد (المصدر : كتابه "المعارك الحربية على الجبهة المصرية" ص ٨٨ ، ٩٠) : أن الطائرات المصرية عادت بعد ٢٠ دقيقة فى تمام الساعة الثانية وعشرين دقيقة ، بعد أداء مهمتها خلال ممرات جوية محدودة تم الإتفاق عليها من قيادة القوات الجوية وقيادة الدفاع الجوى من حيث الوقت والإرتفاع . واشترك فى تلك

الضربة حوالى ٢٠٠ طائرة مقاتلة مصرية عبرت على ارتفاع منخفض جدا فوق خط قناة السويس وفوق خليج السويس ، وضربت بصواريخها بعض بطاريات الدفاع الجوى الإسرائيلى وبعض الرادارات والمطارات ومراكز القيادة والإمداد والتموين الخلفية بسيناء ، وألحقت بهم بعض الخسائر المحدودة على حسب قول المؤرخ العسكرى الإنجليزى Simon Dunstan فى كتابه ص ٣٩ ، ٤٠ / الناشر : ٢٠٠٣ .Osprey Publishing Ltd UK ، وأسقطت إسرائيل منهم ٤٠ طائرة فى اشباكات جوية وبصواريخ أرض جو .

فى حين حلقت قاذفتان تيبيلوف مصريتان TU-١٦ بالقرب من تل أبيب فى رسالة واضحة للتأثير النفسى والمعنوى على العدو بقدرة مصر على الردع فى العمق العمرانى ، وأطلقت القاذفتان صاروخين AS-٥ Kelt إطلاقا عشوائيا ، سقط أحدهما بالبحر ، وسقط الآخر بالمقاتلات الإسرائيلية . كما هاجمت ١٤ طائرة قاذفة أخرى طراز تيبيلوف أهدافا إسرائيلية بصحراء سيناء بصواريخ Kelt وحققت بعض النجاح المحدود .

ويقول الفريق الشاذلى بمذكراته : أنه " بمجرد عبور قواتنا الجوية لخط القناة بدأت مدفعيتنا عملية القصف التحضيرى المكثف على مواقع العدو شرق القناة – (اشترك فى عملية القصف أكثر من ٢٠٠٠ مدفع هاوتزر ومورتار وصواريخ أرض–أرض كاتيوشا وفروج Frog ، كما شاركت فى القصف بعض الدبابات التى تسلقت إلى مرابضها السابقة التجهيز فوق الساتر الترابى على الضفة الغربية للقناة – المصدر السابق).

وفى الوقت نفسه وقبل موجات عبور المشاة تسللت عناصر استطلاع المهندسين وعناصر من الصاعقة إلى الشاطئ الشرقى للقناة للتأكد من تمام إغلاق المواسير التى تنقل السائل المشتعل إلى سطح القناة " ، ولفتح الثغرات بالساتر الترابى . ويقول الشاذلى : وبينما كانت تلك الأعمال جميعها تتم بنجاح كان الجميع ينتظرون أخبار عبور المشاة حيث أن ذلك هو الذى سيحدد مصير المعركة ، وبينما كنا ننتظر وكان على رءوسنا الطير وصلت المعلومات بتمام عبور الموجة الأولى ، وأخذت المعلومات عن عبور الموجات التالية تتوالى وفى توقيتات تتطابق تماما مع توقعاتنا ، وفى الساعة ١٨٣٠ (السادسة والنصف مساءا) من يوم ٦ أكتوبر كان قد عبر إلى الشاطئ الآخر ٢٠٠٠ ضابط و ٣٠ ألف رجل من خمس فرق مشاة واحتفظوا بخمسة رءوس كبارى قاعدة كل منها بطول يتراوح بين ٦ ،٨ كم وعمق يتراوح بين ٣ ، ٥ كم ... "

سعد الدين الشاذلى

وثغرة الدفرسوار

اكتشفت طائرة استطلاع أمريكية لم تستطع الدفاعات الجوية المصرية إسقاطها بسبب سرعتها التي بلغت ثلاث مرات سرعة الصوت وارتفاعها الشاهق وجود ثغرة بين الجيش الثالث في السويس والجيش الثاني في الإسماعيلية، وقام الأمريكان بإبلاغ إسرائيل ونجح أرئيل شارون قائد إحدى الفرق المدرعة الإسرائيلية بالعبور إلى غرب القناة من الثغرة بين الجيشين الثاني والثالث، عند منطقة الدفرسوار القريبة من البحيرات المرّة بقوة محدودة ليلة ١٦ أكتوبر، وصلت إلى ٦ ألوية مدرعة، و٣ ألوية مشاة مع يوم ٢٢ أكتوبر .احتل شارون المنطقة ما بين مدينتي الإسماعيلية والسويس، ولم يتمكن من احتلال أي منهما وكبدته القوات المصرية والمقاومة الشعبية خسائر فادحة.

تم تطويق الجيش الثالث بالكامل في السويس، ووصلت القوات الإسرائيلية إلى طريق السويس القاهرة، ولكنها توقفت لصعوبة الوضع العسكري بالنسبة لها غرب القناة خصوصا بعد فشل الجنرال شارون في الاستيلاء على الإسماعيلية وفشل الجيش الإسرائيلى في احتلال السويس مما وضع القوات الإسرائيلية غرب القناة في مأزق صعب وجعلها محاصرة بين الموانع الطبيعية والاستنزاف والقلق من الهجوم المصري المضاد الوشيك.

في يوم ١٧ أكتوبر طالب الفريق الشاذلي بسحب عدد ٤ ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب ؛ ليزيد من الخناق على القوات الإسرائيلية الموجودة في الغرب، والقضاء عليها نهائيًا، علماً بأن القوات الإسرائيلية يوم ١٧ أكتوبر كانت لواء مدرع وفرقة مشاة فقط وتوقع الفريق الشاذلي عبور لواء إسرائيلي إضافي ليلا لذا فطالب بسحب عدد ٤ ألوية مدرعة تحسبا لذلك وأضاف أن القوات المصرية ستقاتل تحتة مضلة الدفاع الجوي وبمساعدة الطيران المصري وهو ما يضمن التفوق المصري الكاسح وسيتم تدمير الثغرة تدميرا نهائيا وكأن عاصفة هبت على الثغرة وقضت عليها (حسب ما وصف الشاذلي)، وهذه الخطة تعتبر من وجهة نظر الشاذلي تطبيق لمبدأ من مبادئ الحرب الحديثة، وهو" المناورة بالقوات"، علمًا بأن سحب هذه الألوية لن يؤثر مطلقًا على أوضاع الفرق المشاة الخمس المتمركزة في الشرق.

لكن السادات وأحمد إسماعيل رفضا هذا الأمر بشدة، بدعوى أن الجنود المصريين لديهم عقدة نفسية من عملية الانسحاب للغرب منذ نكسة ١٩٦٧، وبالتالي رفضا سحب أي قوات من الشرق للغرب، وهنا وصلت الأمور بينهما وبين الشاذلي إلى مرحلة الطلاق.

خريطة رقم ٢

توزيع القوات ليلة ١٦/١٧ أكتوبر ١٩٧٣

- فرقة BREN مكونة من ثلاثة ألوية مدرعة
- فرقة SHARON مكونة من لوائين مدرعين و لواء مشاة عبر منها لواء مشاة إلى الغربو باقي منها لواء مدرع في الشرق
- قوات الجيش الثاني شرق القناة (١٠ لواء مشاة ، ٤ لواء مدرع، ١٢ كتيبة دبابات ، ٣ كتيبة BMP ، ٤ كتيبة مالونكا، ٣ كتيبة مدفعية مضادة للدبابات) يقوم العدو بتثبيتها بقوة ٢ لواء مدرع، لواء مشاة
- قوات الجيش الثالث شرق القناة (٩ لواء مشاة، ٣ كتيبة مالتوكا، ٢ كتيبة مدفعية مضادة للدبابات) يقوم العدو بتثبيتها بقوة لواء مدرع
- قطاع الإختراق (الدفرسوار): للعدو غرب القناة لواء مدرع ، لواء مشاة و لة شرق القناة في إتجاة في إتجاة الدفرسوار ٤ لواء مدرع و >لك في المواجهة لواء مشاة مصري واحد غرب القناة في إتجاة الدفرسوار

خريطة رقم ٣

معركة الدفرسوار كما كان يريدها الفريق الشاذلي يوم ١٧ أكتوبر

منطقة العمليات	قواتنا			العدو		نسبة المدرعات
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة دبابات	لواء مشاة	لواء مدرع	:
الدفرسوار	٢	٥	١	٢	٣	١ : ٢
باقي مواجهة الجيش	١٠	٢	١٢		١	١ : ٦
الجيش الثالث	٨	١	١٠		١	١ : ٤
إحتياطي العمليات					٣	
إجمالي	٢٠	٨	٢٢	٢	٨	١ : ٢

ملاحظات :

١. نسبة تفوقنا في المدرعات طبقا لهذة الخطة سوف تكون ٣ : ١ غرب القناة

٢. ليس من المنتظر أن يقوم العدو بدفع فرقة BREN إلى غرب القناة في الوقت الذي لم يكن قد اتم فيه بناء أي كبري حتى ذلك الوقت

خريطة رقم ٤

معركة الدفرسوار يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣

منطقة العمليات	قواتنا			العدو		نسبة المدرعات
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة دبابات	لواء مشاة	لواء مدرع	:
الدفرسوار	١	٣	١	٢	٦	٢ : ١
باقي مواجهة الجيش	١٠	٢	١٢		١	١ : ٦
الجيش الثالث	٩	٢	١٠		١	١ : ٥
إحتياطي العمليات		١				
إجمالي	٢٠	٨	٢٣	٢	٨	١ : ٢

خريطة رقم ٥

الموقف في منطقة الدفرسوار مساء ١٨ أكتوبر ١٩٧٣

منطقة العمليات	قواتنا			العدو		نسبة المدرعات
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة دبابات	لواء مشاة	لواء مدرع	:
الدفرسوار	١			١	٥	١ : ٥
باقي مواجهة الجيش	١٠	٤	١٢	١	٣	١ : ٤
الجيش الثالث	٩	٢	١٠		١	١ : ٥
إحتياطي العمليات		١				
إجمالي	٢٠	٧	٢٢	٢	٨	١ : ٢

خريطة رقم ٦

الموقف في منطقة الدفرسوار مساء ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣

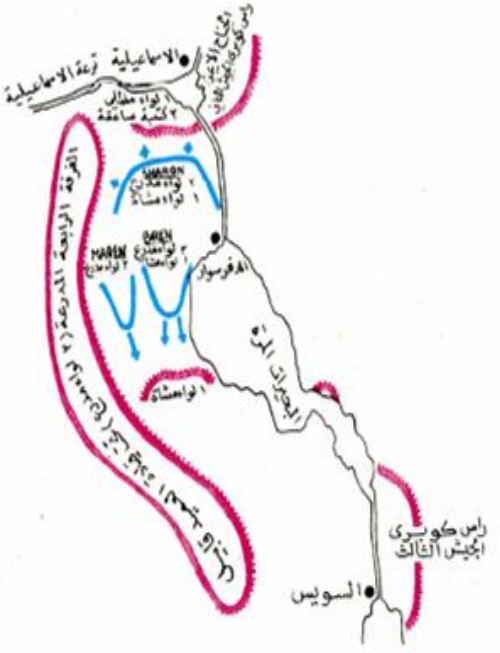

منطقة العمليات	قواتنا			العدو		نسبة المدرعات
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة دبابات	لواء مشاة	لواء مدرع	:
الدفرسوار	٢	٢		٢	٦	١ : ٣
باقي مواجهة الجيش	١٠	٤	١٢	٢	٢	١ : ٤
الجيش الثالث	٨	١	١٠	٢	١	١ : ٤
إجمالي	٢٠	٧	٢٢	٢	٨	١ : ٢

خريطةَ رقَم ٧

الموقَف صباح يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣

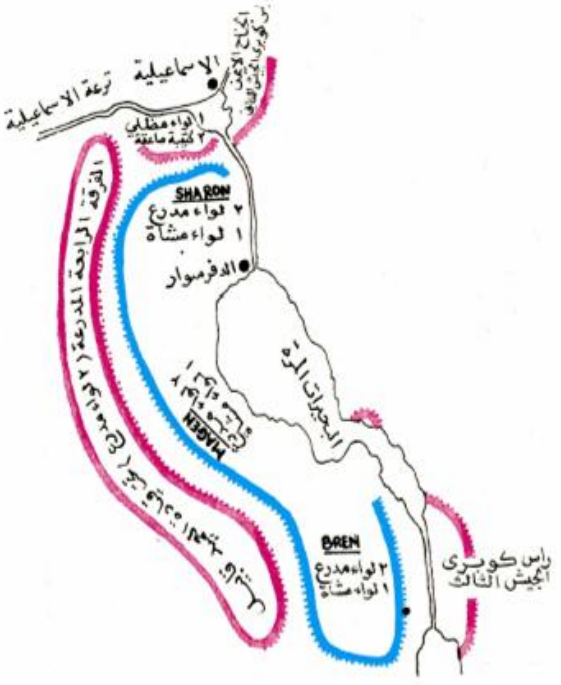

منطقةَ العمليات	قواتنا			العدو		نسبةَ المدرعات
	لواء مشاة	لواء مدرع	كتيبة دبابات	لواء مشاة	لواء مدرع	:
الجيب الإسرائيلي	٢	٢		٢	٦	١ : ٣
الجيش الثاني	١٠	٤	١٢	٢	٢	١ : ٤
الجيش الثالث	٨	١	١٠	٢	١	١ : ٤
إجمالي	٢٠	٧	٢٢	٧	٩	١ : ١,٥

خروج سعد الدين الشاذلى من الجيش

الفريق الشاذلي سفيرا لمصر في إنجلترا

في ١٣ ديسمبر١٩٧٣ م وفي قمة عمله العسكري بعد حرب أكتوبر تم تسريح الفريق الشاذلي من الجيش بواسطة الرئيس أنور السادات وتعيينه سفيراً لمصر في إنجلترا ثم البرتغال.

في عام ١٩٧٨ انتقد الشاذلي بشدة معاهدة كامب ديفيد وعارضها علانية مما جعله يتخذ القرار بترك منصبه ويذهب إلى الجزائر كلاجئ سياسي.

في المنفى كتب الفريق الشاذلي مذكراته عن الحرب والتي اتهم فيها السادات باتخاذ قرارات خاطئة رغماً عن جميع النصائح من المحيطين أثناء سير العمليات على الجبهة أدت إلى التسبب في الثغرة وتضليل الشعب بإخفاء حقيقة الثغرة وتدمير حائط الصواريخ وحصار الجيش الثالث لمدة فاقت الثلاثة أشهر كانت تصلهم الإمدادات تحت إشراف الجيش الإسرائيلي.

كما اتهم في تلك المذكرات الرئيس السادات بالتنازل عن النصر والموافقة على سحب أغلب القوات المصرية إلى غرب القناة في مفاوضات فض الاشتباك الأولى وأنهى كتابه ببلاغ للنائب العام يتهم فيه الرئيس السادات بإساءة استعمال سلطاته وهو الكتاب الذي أدى إلى محاكمته غيابيا بتهمة إفشاء أسرار عسكرية وحكم عليه بالسجن ثلاثة سنوات مع الأشغال الشاقة ووضعت أملاكه تحت الحراسة ,كما تم حرمانه من التمثيل القانونى وتجريده من حقوقه السياسية.

نص خطاب الذي وجهه الفريق الشاذلي إلى النائب العام

السيد النائب العام:

تحية طيبة.. وبعد، أتشرف أنا الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين ١٦ مايو ١٩٧١ وحتى ١٢ ديسمبر١٩٧٣ ، أقيم حاليا بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية بمدينة الجزائر العاصمة وعنواني هو صندوق بريد رقم ٧٧٨ الجزائر- المحطة alger. Gare b.p ٧٧٨ بأن اعرض على سيادتكم ما يلي:

أولا: إني أتهم السيد محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية بأنه خلال الفترة ما بين أكتوبر ١٩٧٣ ومايو١٩٧٨ ، وحيث كان يشغل منصب رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية بأنه ارتكب الجرائم التالية:

الإهمال الجسيم

وذلك أنه وبصفته السابق ذكرها أهمل في مسئولياته إهمالا جسيما واصدر عدة قرارات خاطئة تتعارض مع التوصيات التي أقرها القادة العسكريون، وقد ترتب على هذه القرارات الخاطئة ما يلي:

١. نجاح العدو في اختراق مواقعنا في منطقة الدفرسوار ليلة ١٥/١٦ أكتوبر ١٩٧٣ في حين أنه كان من الممكن ألا يحدث هذا الاختراق إطلاقا.
٢. فشل قواتنا في تدمير قوات العدو التي اخترقت مواقعنا في الدفرسوار، في حين أن تدمير هذه القوات كان في قدرة قواتنا، وكان تحقيق ذلك ممكنا لو لم يفرض السادات على القادة العسكريين قراراته الخاطئة.
٣. نجاح العدو في حصار الجيش الثالث يوم ٢٣ أكتوبر١٩٧٣ ، في حين أنه كان من الممكن تلافي وقوع هذه الكارثة.

تزييف التاريخ

وذلك أنه بصفته السابق ذكرها حاول ولا يزال يحاول أن يزيف تاريخ مصر، ولكي يحقق ذلك فقد نشر مذكراته في كتاب أسماه البحث عن الذات وقد ملأ هذه المذكرات بالعديد من المعلومات الخاطئة التي تظهر فيها أركان التزييف المتعمد وليس مجرد الخطأ البريء.

الكذب

وذلك أنه كذب على مجلس الشعب وكذب على الشعب المصري في بياناته الرسمية وفي خطبه التي ألقاها على الشعب أذيعت في شتى وسائل الإعلام المصري. وقد ذكر العديد من هذه الأكاذيب في مذكراته البحث عن الذات ويزيد عددها على خمسين كذبة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١. إدعاءه بأن العدو الذي اخترق في منطقة الدفرسوار هو سبعة دبابات فقط واستمر يردد هذه الكذبة طوال فترة الحرب.

٢. إدعاءه بأن الجيش الثالث لم يحاصر قط في حين أن الجيش الثالث قد حوصر بواسطة قوات العدو لمدة تزيد على ثلاثة أشهر.

الادعاء الباطل

وذلك أنه ادعى باطلا بأن الفريق الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية قد عاد من الجبهة منهارا يوم ١٩ أكتوبر

١٩٧٣، وأنه أوصى بسحب جميع القوات المصرية من شرق القناة، في حين أنه لم يحدث شيء من ذلك مطلقا.

إساءة استخدام السلطة

وذلك أنه بصفته السابق ذكرها سمح لنفسه بان يتهم خصومه السياسيين بادعاءات باطلة، واستغل وسائل إعلام الدولة في ترويج هذه الادعاءات الباطلة. وفي الوقت نفسه فقد حرم خصومه من حق استخدام وسائل الإعلام المصرية التي تعتبر من الوجهة القانونية ملكا للشعب للدفاع عن أنفسهم ضد هذه الاتهامات الباطلة.

ثانيا: إني أطالب بإقامة الدعوى العمومية ضد الرئيس أنور السادات نظير ارتكابه تلك الجرائم ونظرا لما سببته هذه الجرائم من أضرار بالنسبة لأمن الوطن ونزاهة الحكم.

ثالثا: إذا لم يكن من الممكن محاكمة رئيس الجمهورية في ظل الدستور الحالي على تلك الجرائم، فإن أقل ما يمكن عمله للمحافظة على هيبة الحكم هو محاكمتي لأنني تجرأت واتهمت رئيس الجمهورية بهذه التهم التي قد تعتقدون من وجهة نظركم أنها اتهامات باطلة. إن البينة على من ادعى وإني أستطيع- بإذن الله- أن أقدم البينة التي تؤدى إلى ثبوت جميع هذه الادعاءات وإذا كان السادات يتهرب من محاكمتي, على أساس أن المحاكمة قد تترتب عليها إذاعة بعض الأسرار، فقد سقطت قيمة هذه الحجة بعد أن قمت بنشر مذكراتي في مجلة "الوطن العربي" في الفترة ما بين ديسمبر ١٩٧٨ ويوليو ١٩٧٩ للرد على الأكاذيب والادعاءات الباطلة

التي وردت في مذكرات السادات. لقد اطلع على هذه المذكرات واستمع إلى محتوياتها عشرات الملايين من البشر في العالم العربي ومئات الألوف في مصر.

شهادة المشير الجمسي

يقول المشير محمد عبد الغني الجمسي رئيس هيئة العمليات أثناء حرب اكتوبر في مذكراته (مذكرات الجمسي) حرب اكتوبر ١٩٧٣م صفحة ـ ٤٢١ ـ

لقد عاصرت الفريق الشاذلي خلال الحرب، وقام بزيارة الجبهة أكثر من مرة، وكان بين القوات في سيناء في بعض هذه الزيارات. وأقرر أنه عندما عاد من الجبهة يوم ٢٠ أكتوبر لم يكن منهاراً، كما وصفه الرئيس السادات في مذكراته (البحث عن الذات ص ٣٤٨) بعد الحرب. لا أقول ذلك دفاعاً عن الفريق الشاذلي لهدف أو مصلحة، ولا مضاداً للرئيس السادات لهدف أو مصلحة، ولكنها الحقيقة أقولها للتاريخ.

عودته إلى مصر

عاد عام١٩٩٢ م إلى مصر بعد ١٤ عاماً قضاها في المنفى بالجزائر وقبض عليه فور وصوله مطار القاهرة وصودرت منه جميع الأوسمة والنياشين وأجبر على قضاء مدة الحكم عليه بالسجن دون محاكمة رغم أن القانون المصري ينص على أن الأحكام القضائية الصادرة غيابياً لابد أن تخضع لمحاكمة أخرى.

أسرار الدولة وأسرار الحكومة

لم أفش أي أسرار عسكرية:

يقول الشاذلى : إن اتهامي أمام محكمة عسكرية بأنني أفشيت أسرارا عسكرية في كتابي الذي نشرته عن حرب اكتوبر سنة ١٩٧٩. هو اتهام باطل لا يستند إلى أي دليل. أني أتحدى من يدعي بغير ذلك أن يذكر معلومة محددة يعتقد انها- من وجهة نظره- تعتبر معلومة عسكرية سرية.

لقد جاء في تعليق مدير إدارة القضاء العسكري الذي نشر في مجلة المجلة بتاريخ ٢٤ أكتوبر ٩٣ "أن الفريق الشاذلي بصفته العسكرية كرئيس للأركان قد أفشى أسرارا عن اسلحة ومعدات وخطط ومعلومات عن تشكيلات وتحركات وافراد وعتاد واستراتيجيات وتكتيكات القوات المسلحة المصرية. وذلك من خلال ما كتبه في الخارج من مقالات نشرت في مجلة الوطن العربي بالإضافة إلى كتاب صدر في باريس تحت عنوان حرب اكتوبر، دون إذن خطي من السلطات العسكرية المختصة كما يوجب القانون " وأرى أن الجملة الوحيدة الصادقة في كل هذا التصريح هي أنني لم احصل على تصريح كتابي من وزارة الدفاع بنشر كتابي عن حرب اكتوبر. أما كل ما جاء على لسان مدير إدارة القضاء العسكري من اتهامات اخرى فهي ادعاءات باطلة لا تستند إلى أي دليل.

نعم لم أطلب تصريحا من وزارة الدفاع لأني أرى أن أي قرار أو قانون يفرض على الأشخاص ضرورة الحصول على إذن مسبق من

القيادة العامة للقوات المسلحة، قبل إجراء أي حديث أو قبل نشره هو إجراء غير دستوري ويتعارض مع مبدأ حرية الرأي التي كفلها الدستور لكافة المواطنين. وان كل ما تستطيع السلطة التنفيذية عمله- إذا افترضنا احترامها للدستور- هو أن ترفع الدعوى ضد من تعتقد أنه أفشى اسرارا عسكرية. ثم يترك الأمر بعد ذلك للقضاء للفصل في الدعوى.

نعم لم اطلب تصريحا من وزير الحربية لأنني على قناعة بأني لست اقل منه علما أو وطنية عند تقييمي لما اكتب، من حيث أن ما اكتبه يمكن أن يستفيد منه العدو في تهديد أمن وسلامة وطني. وإذا علمنا بالكم الهائل من المقالات والكتب التي يتحتم عرضها على وزارة الحربية لاحتوائها على موضوعات عسكرية. وان الوزير وكبار معاونيه لا يستطيعون مراجعة كل هذه المقالات والكتب. وان الأمور عادة ما تنتهي بإحالة هذه الكتب والمقالات إلى ضباط ينقصهم العلم والخبرة، اتضحت لنا خطورة النتائج التي يمكن أن تسفر عنها مثل هذه الرقابة. والتي عادة ما تتمسك بالشكل دون المضمون. والتي قد تخضع احيانا لعوامل شخصية وتصفية حسابات قديمة. أو قد تتأثر بموقف انتهازي من الضابط الرقيب إذا شعر أن رفضه التصريح بنشر كتاب لمؤلف ما، قد يرضى رئيسه، نظرا لما يعلمه من وجود خلافات سابقة بين المؤلف وبين رئيس الضابط الرقيب.

نعم رفضت طلب التصريح بالنشر من وزير الحربية، لأن كتابي عن حرب أكتوبر كان مليئا بالنقد اللاذع لرئيس الجمهورية ولوزير

الحربية. ولأنـــني طالبت في هذا الكتاب بإلغاء منصب القائد العام للقـــوات المسلحة، وإبعاد وزير الحربية عن القرارات العسكرية.

وجهت للفريق للشاذلي تهمتان:

التهمة الأولى : هي نشر كتاب بدون موافقة مسبقة عليه، واعترف "الشاذلي" بارتكابها.

التهمة الثانية : فهي إفشاء أسرار عسكرية فـــي كتابـــه، وأنكـــر الشاذلي صحة هذه التهمة الأخيرة بشدة، بدعوى أن تلك الأسرار المزعومة كانت أسرارًا حكومية وليست أسرارًا عسكرية.

وأثناء تواجده بالسجن، نجح فريق المحامين المـــدافع عنـــه فـــي الحصول على حكم قضائى صادر من أعلى محكمة مدنية وينص علـــى أن الإدانة العسكرية السابقة غير قانونية وأن الحكم العسكري الصـــادر ضـــده يعتبر مخالفاً للدستور. وأمرت المحكمة بالإفراج الفورى عنه. رغم ذلك، لم ينفذ هذا الحكم الأخير وقضى سنة ونص في السجن، وخرج بعدها ليعـــيش بعيدًا عن أي ظهور رسمي.

ظهر بعدها في بعض القنوات الفضائية كمحلـــل عســـكري وفـــي البرامج التي تناولت حرب أكتوبر في أواخر التسعينات القرن الماضي. أبرز ظهور إعلامي له كان على قناة الجزيرة في ٦ فبراير ١٩٩٩ فـــي حلقـــات مطولة من برنامج شاهد على العصر مع أحمد منصور.

الجدير بالذكر أن الفريق الشاذلى هو الوحيد من قادة حرب أكتوبر الذي لم يتم تكريمه بأى نوع من أنواع التكريم, وتم تجاهله في الاحتفالية التي أقامها مجلس الشعب المصري لقادة حرب أكتوبر والتي سلمهم خلالها الرئيس أنور السادات النياشين والأوسمة كما ذكر هو بنفسه في كتابه مذكرات حرب أكتوبر. على الرغم من الدوره الكبير في إعداد القوات المسلحة المصرية, وفى تطوير وتنقيح خطط الهجوم والعبور، واستحداث أساليب جديدة في القتال وفى استخدام التشكيلات العسكرية المختلفة، وفى توجيهاته التي تربى عليها قادة وجنود القوات المسلحة المصرية.

ذكر الفريق الشاذلي في مذكراته بأنه قد تم منحه نجمة الشرف أثناء عمله كسفير في إنجلترا من قبل مندوب من الرئيس السادات.

يقول الفريق الشاذلي : في عام ١٩٧٤ وبينما كنت سفيراً لمصر في لندن حضر الي مكتبي ذات يوم الملحق الحربي المصري وهو يكاد ينهار خجلاً.. كان متردداً وهو يحاول أن يتكلم إلى أن شجعته على الكلام فقال : سيادة الفريق .. أني لا أعرف كيف أبدأ وكم كنت أتمنى ألا اجد نفسي أبدا في هذا الموقف ولكنها الأوامر صدرت إلي لقد طلب مني ان أسلم إليكم نجمة الشرف التي أنعم عليكم بها رئيس الجمهورية.

استلمت منه الوسام في هدوء وأنا واثق أن مصر وليس (السادات حاكم مصر) سوف يكرمني في يوم من الأيام بعد أن تعرف حقائق وأسرار حرب أكتوبر .ليس التكريم هو أن أمنح وساماً في الخفاء ولكن التكريم هو أن يعلم الشعب بالدور الذي قمت به. سوف يأتي هذا اليوم مهما حاول السادات تأخيرة ومهما حاول السادات تزوير التاريخ.

وفاة سعد الدين الشاذلى

توفي بطل ومهندس حرب أكتوبر المجيدة رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية الفريق سعد الدين الشاذلي يوم الخميس ٧ ربيـــع الأول ١٤٣٢هـــ الموافق في ١٠ فبراير ٢٠١١ م، بالمركز الطبى العالمي التابع للقوات المسلحة، عن عمر بلغ ٨٨ عاماً قضاها في خدمة وطنه بكل كفاءة وأمانة وإخلاص، وقد جاءت وفاته في خضم ثورة ٢٠١١ في مصر، وذلك بعد معاناة طويلة مع المرض، وقد شيّع في جنازة عسكرية وشعبية مهيبة بعد صلاة الجمعة.

كانت جنازته في نفس اليوم الذي أعلن فيه عمر ســليمان تنحــي الرئيس حسني مبارك عن منصبه كرئيس للجمهورية.

أعاد المجلس العسكري نجمة سيناء لأسرة الفريق الشــاذلي بعــد تنحي الرئيس حسني مبارك بأسبوعين.

مؤلفاته

- حرب أكتوبر
- الخيار العسكري العربي
- الحرب الصليبية الثامنة
- أربع سنوات في السلك الدبلوماسية

المصادر والمراجع

- المعارك الحربية على الجبهة المصرية" . جمال حماد . القاهرة ص ٨٨ ، ٩٠.
- حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ" . عبد العظيم رمضان . مكتبة الأسرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ص ٤٤.
- من أوراق السادات. أنيس منصور "" الطبعة الرابعة ٢٠١٠ دار المعارف . القاهرة . ص ١٦١.
- المعارك الحربية على الجبهة المصرية" . جمال حماد . دار الشروق. القاهرة . الطبعة الأولى ٢٠٠٢. الصفحة ٢٧
- مذكرات اللواء حسين الجمسى . عبدالعظيم رمضان . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٩ .
- مذكرات حرب أكتوبر . سعد الدين الشاذلى. دار البحوث والشرق الأوسط الفرنسية . سان فرانسيسكو . ٢٠٠٣ .
- الفرص الضائعة . أمين هويدى- "" طبعة ١٩٩٢ ص ٢٨٨) .
- البحث عن الذات . محمد أنور السادات . الدار المصرية للنشر والتوزيع . القاهرة . ١٩٧٩ .
- بطولات حرب رمضان . محمد حسين طنطاوي .ـ ط١ .ـ

- القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٤م .
- يوميـــات مـــذيع في جبهة القتال . حمـــدي الكنيسي .ـــ ط١ .ـــ القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٤م .
- ٦ أكتوبر الحرب الألكترونية الأولى . محمد عبد المنعم .ـــ ط١ .ـــ القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .
- العمليات الحربية على الجبهة المصرية . جمال حماد .ـــ ط١ .ـــ القاهرة : دار الشعب .

فهرس

مقدمة ٥

من هو سعد الدين الشاذلى ؟ ٧

حياة سعد الدين الشاذلى العسكرية ٨

تعيين سعد الدين الشاذلى رئيساً لأركان القوات المسلحة ١١

المشاريع الاستراتيجية ١٧

خطة حرب أكتوبر وعنصر المفاجأة ١٩

الهدوء الذى يسبق العاصفة ٣٥

خطة المآذن العالية ٤٣

معركة الثأر وساعة الصفر ٤٦

سعد الدين الشاذلى وثغرة الدفرسوار ٥٨

خروج سعد الدين الشاذلى من الجيش ٦٦

أسرار الدولة وأسرار الحكومة ٧٢

وفاة سعد الدين الشاذلى ٧٦

المراجع والمصادر ٧٧

فهرس ٧٩